الباب الثالث

الاتجاه العقلي و دراسته للسنة النبوية

الفصل الأول: تعريف الاتجاه العقلي وتأصيله ومبادئه وأبرز أعلامه.

المبحث الأول: تعريف الاتجاه العقلي.

المبحث الثاني: تأصيل الاتجاه العقلي.

المبحث الثالث: مبادئ الاتجاه العقلي.

المبحث الرابع: أبرز أعلام الاتجاه العقلي المعاصرين.

الفصل الثاني: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في عدم حجية خبر الواحد والرد عليها.

المبحث الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في عدم حجية خبر الواحد.

المبحث الثاني: أدلة العلماء في حجية خبر الواحد والرد على أدلة الاتجاه العقلي.

الفصل الثالث: أبرز آراء أصحاب الاتجاه العقلي في الأحاديث النبوية والرد عليها.

المبحث الأول: رأي الاتجاه العقلي في مسألة الشفاعة كنموذج لأحاديث العقيدة والرد عليه.

المبحث الثاني: رأي الاتجاه العقلي في مسألة سحر النبي ﷺ كنموذج لأحاديث السيرة والرد عليه.

المبحث الثالث: رأي الاتجاه العقلي في مسألة حد الردة كنموذج لأحاديث الأحكام والرد عليه.

obeikandl.com

الفصل الأول
تعريف الاتجاه العقلي وتأصيله وأبرز أعلامه ومبادئه

المبحث الأول: تعريف الاتجاه العقلي.

المطلب الأول: تعريف العقل في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تعريف العقل في السنة النبوية.

المطلب الثالث: تعريف العقل في اللغة العربية.

المطلب الرابع: تعريف العقل عند العلماء المتقدمين والمعاصرين.

المطلب الخامس: تدرُّج العقل.

المبحث الثاني: تأصيل الاتجاه العقلي.

المطلب الأول: مكانة العقل عند المعتزلة.

المطلب الثاني: اهتمام المستشرقين وبعض المسلمين بفكر المعتزلة ونشره.

المطلب الثالث: أوجه التشابه بين أفكار المعتزلة وأفكار أصحاب الاتجاه العقلي الحديث.

المبحث الثالث: مبادئ الاتجاه العقلي.

المطلب الأول: مبادئ الاتجاه العقلي العامة.

المطلب الثاني: مبادئ الاتجاه العقلي الخاصة بالسنة النبوية.

المبحث الرابع: أبرز أعلام الاتجاه العقلي المعاصرين.

المطلب الأول: الشيخ جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤- ١٣١٥هـ، ١٨٣٨- ١٨٩٧م).

المطلب الثاني: الشيخ محمد عبده الغرابلي المصري (١٢٦٦- ١٣٢٣هـ، ١٨٤٩- ١٩٠٥م).

obeikandl.com

المطلب الثالث: الشيخ محمد رشيد رضا الشامي ثم المصري(١٢٨٢-١٣٥٤هـ، ١٨٦٥-١٩٣٥م).

المطلب الرابع: الشيخ محمود شلتوت المصري (١٣١٠- ١٣٨٣هـ، ١٨٩٣-١٩٦٣م).

المطلب الخامس: الشيخ محمد عزة دروزة الفلسطيني ثم السوري (١٣٠٥-١٤٠٤هـ، ١٨٨٨- ١٩٨٤م).

المطلب السادس: أبرز المتأثرين بالاتجاه العقلي.

obeikandl.com

المبحث الأول

تعريف الاتجاه العقلي

قبل أن أبدأ بتعريف الاتجاه العقلي أود أن أذكر الأسباب التي جعلتني اعتبر الاتجاه العقلي أحد الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية، وهي:

١- اعتبار كثير من المفكرين[١] وعلماء التفسير[٢] والسيرة النبوية[٣] والفلسفة الإسلامية[٤]؛ الاتجاه العقلي أحد الاتجاهات المهمة في حياتنا المعاصرة.

٢- تأملي في الواقع الإسلامي المعاصر في موقف جماعات المسلمين من السنة النبوية.

٣- قراءتي للمؤلفات المعاصرة في السنة وخاصة كتب الاتجاه العقلي.

ولا يتأتى بيان تعريف الاتجاه العقلي على الوجه الأكمل إلا إذا وقفنا أولاً على ما ينسب إليه، وهو العقل، فسأبرز هنا مفهومه في القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية وعند علماء المسلمين.

المطلب الأول: تعريف العقل في القرآن الكريم:

إذا نحن ذهبنا نتلمس معنى العقل في القرآن؛ نجد أن العقل إما بمعنى العلم والمعرفة والفهم والإدراك، وإما بمعنى التمييز بين الخير والشر وإمساك النفس عن

---

(١) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ١٦.

(٢) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ١/ ١٤.

(٣) الاتجاهات المعاصرة في كتابة السيرة النبوية: د. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس: ٨٩، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٥٥)، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣)، الكويت.

(٤) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٥٤٤، الحمد لله هذه حياتي: د. عبد الحليم محمود: ١٢٩، مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر تأملات في المنطلق والمصب: د. عبد الرزاق قسوم: ٣.

الأمور القبيحة؛ وفي جميع هذه المواضع يلحُّ القرآن الكريم إلحاحاً متواصلاً على استعمال العقل، وعلى الفهم والتدبر والتأمل والتمييز بين الخير والشر، فلقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل، ورفعه به عن درجة البهائم، ليدرك به الخير فيتبعه، ويعرّف به الشر فيجتنبه، فلابد من أن لا تذهب هذه الهبة سدى، ولابد للإنسان من الرجوع إلى هذه القوة في جميع أموره.

ولم يرد في القرآن لفظ العقل مصدراً قط، وكل ما ورد هو في صيغة الفعل: عقل، نعقل، يعقل، في الماضي والمضارع، والمفرد والجمع، وورد بعضها مسبوقاً بالحث على العقل، أو الاستفهام، أو الاستنكار، أو النفي، وعدد هذه الألفاظ: (٤٩) لفظاً، وهذا دليل على الشأن الذي أعطاه القرآن للعقل؛ وسنورد بعض الأمثلة على ذلك وهي[(١)]:

١- ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العَنكبوت: ٤٣].

٢- ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعَام: ٣٢].

ونجد من ناحية ثانية أن القرآن ألحَّ بشكل آخر على التنويه بالعقل، ومناداة أصحاب العقول، بلفظ: أولي الألباب؛ أي أولي العقول، وهو إلحاح على استعمال العقل بلفظ آخر، فمن هذه الآيات ما يلي:

٣- ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩].

وأحياناً نجد القرآن الكريم يستعمل كلمة النّهى بالمعنى نفسه، فيخاطب أولي النهى؛ أي أصحاب العقول، فمن هذه الآيات ما يلي:

---

(١) الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي: د. صلاح الدين المنجد: ١٥- ٢٤، دار الكتاب الجديد: بيروت، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ٢/ ٧٠٧- ٧٠٩، الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام: د. عبد العال سالم مكرم: ١١- ١٢، مؤسسة الرسالة: بيروت، العقلانية هداية أم غواية: عبد السلام البسيوني: ١٥، دار الوفاء: المنصورة.

٤- ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه: ٥٤].

وهناك آيات كثيرة تدعو إلى التفكر والنظر والتأمل والاعتبار؛ وكلها تمتُّ إلى العقل بسبب أو بآخر، وتحث على العودة إلى العقل في جميع الأمور، ومن ذلك:

٥- ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٦٦].

وقد يأتي العقل بمعنى القلب؛ لأن العقل قوة من قوى القلب، وخادم من خدامه، وهذا ما فسَّره عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما[(١)]، ومن ذلك:

٦- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [قّ: ٣٧].

المطلب الثاني: تعريف العقل في السنة النبوية:

أولاً: جاء مصطلح العقل بمعنى الإدراك، وذلك كما يلي:

- حديث علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**رُفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل**»[(٢)].

---

(١) الإسلام والعقل: د. حسن عباس زكي: ٧٨-٧٩، مجلة البحوث والدراسات الصوفية، العدد (١)، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م)، القاهرة.

(٢) رواه أبو داود في كتاب: الحدود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حداً، (الحديث: ٤٤٠٣)، ٤/ ٥٦٠، واللفظ له، من طريق خالد بن مهران، عن أبي الضحى وهو مسلم بن صبيح، عن علي بن أبي طالب ﷺ، وإسناده صحيح لغيره؛ لأن خالد بن مهران ثقة يرسل، وأشار حماد بن زيد إلى أن حفظه تغير لما قدم من الشام، وعاب عليه بعضهم دخوله في عمل السلطان. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ١٩١، ورواه الترمذي في كتاب: الحدود عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، (الحديث: ١٤٢٣): ٤/ ٩٣- ٩٤، وقال: «وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها، وحديث علي ﷺ حديث حسن غريب من هذا الوجه، ولا نعرف للحسن سماعاً من علي بن أبي طالب ﷺ، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم»، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٩٤٠): ٢/ ٢٥٤، كلاهما من طريق الحسن البصري، عن علي بن أبي طالب ﷺ، وإسناده صحيح لغيره؛ لأن الحسن بن أبي الحسن البصري ثقة فقيه، فاضل مشهور، وكان يرسل كثيراً ويدلس. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ١٦٠، ورواه ابن ماجه في كتاب: الطلاق، باب: طلاق المعتوه والصغير والنائم، (الحديث: ٢٠٤١): ٣/ ٤٤٢، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: الإيمان، باب: التكليف، (الحديث: ١٤٢): ١/ ٣٥٥، وكلاهما من طريق حماد بن أبي سليمان، عن

=

ثانياً: ورد مصطلح العقل بمعنى الفهم، ومثاله ما يلي:

١- جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: مُرني بأمر، ولا تكثر عليّ حتى أعقله، قال: «**لا تغضب، فأعاد عليه: لا تغضب**»(١).

٢- ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: «**كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتُعقل عنه**»(٢).

ثالثاً: ورد مصطلح العقل بمعنى الحلم والنُهى، وهي بالمعنى العام للعقل:

١- ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ للأشج أشجّ عبد القيس: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**»(٣). وقال النووي: «الحلم: العقل، والأناة: التثبت وترك العجلة»(٤).

٢- جاء عن أبي مسعود ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: «**استووا ولا تختلفوا، فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنُهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(٥).

= الأسود، عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده حسن؛ لأن حماد فقيه صدوق له أوهام. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ٧٨، والحديث بهذه الطرق صحيح لغيره.

(١) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٨٧٤٤): ١٤/ ٣٥٧، من طريق أبي حصين وهو عثمان بن عاصم الأسدي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ، وهو حديث صحيح الإسناد؛ لأن رجاله كلهم ثقات.

(٢) رواه البخاري في كتاب: العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم منه، (الحديث: ٩٤): ١/ ٥١، ورواه الترمذي في كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: في كلام النبي ﷺ، (الحديث: ٣٦٤٠): ٦/ ٢٩- ٣٠، واللفظ له بزيادة لفظ: «لتعقل عنه»، وقال: «حديث حسن صحيح غريب، إنما نعرفه من حديث عبد الله بن المثنى».

(٣) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين، (الحديث: ٢٥): ١/ ٤٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي: ١/ ٢٦٣.

(٥) رواه مسلم في كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول فالأول منها، (الحديث: ٤٣٢): ١/ ٣٢٣.

قال النووي: «أولو الأحلام: هم العقلاء، والنُهى: العقول»[١]،[٢].

وقد دار خلاف حول الأحاديث الواردة في فضل العقل[٣]، ومدى نصيبها من الصحة أو الضعف، والناظر في موقف المتقدمين والمتأخرين يلحظ بوضوح وجود رأيين متباينين في نظرتهم إليها:

الرأي الأول: قبلوا تلك الأحاديث وأثبتوا صحتها، واعتمدوا عليها، وهم غالب الصوفية، وبعض الفلاسفة، والمعتزلة الذين استشهدوا بها كمعضد لنزعتهم العقلية.

الرأي الثاني: ويمثله جمهور المحدثين الذين نصوا على تضعيف الأحاديث الواردة في فضل العقل، وردّها وأن بعضها يدخل في الحديث الموضوع، وذلك مثل: ابن تيمية[٤]، والعقيلي[٥]، وابن الجوزي[٦]، وابن قيم الجوزية[٧]، والسيوطي[٨].

وإذا حاولنا الموازنة بين الرأيين المذكورين، فلابد أن نضع في اعتبارنا ما يلي:

أ ـ محل الخلاف ليس راجعاً في حقيقة الأمر إلى ما تضمنته تلك الأحاديث من بيان فضل العقل، والحث على استعماله في التفكير والتدبر، فهذا القدر لا يماري

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ٤/ ٢٠٣.
(٢) الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي: د. صلاح الدين المنجد: ٢٥- ٢٧، ٣٨.
(٣) انظر للتوسع: الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي: د. صلاح الدين المنجد: ٣٩- ٤١.
(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ١٨/ ٣٣٦- ٣٣٧، دار العربية: بيروت.
(٥) الضعفاء الكبير: العقيلي: ٣/ ١٧٥.
(٦) الموضوعات من الأحاديث المرفوعات: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: ١/ ٢٧٢، مكتبة أضواء السلف: الرياض.
(٧) المنار المنيف في الصحيح والضعيف: محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية: ٦٤، دار الكتب العلمية بيروت.
(٨) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: ١/ ١٢٤، دار المعرفة: بيروت.

مسلم في صحته، كيف والعقل مناط التكليف، وأبرز الفروق بين المكلف وغير المكلف، ومن ثم فمحل الخلاف يتركز حول إثبات ألفاظ هذه الأحاديث، وصحة نسبتها إلى النبي ﷺ، وليس حول إثبات المعاني فحسب.

ب ـ القول بعدم ثبوت هذه الأحاديث لا يعني أنه لم يرد في السنة ذكر للعقل مطلقاً؛ بل ثمة نصوص عديدة فيها ذكر للعقل، وترتيب بعض الأحكام عليه[١]؛ لكنها لا تتعرض لتصريح واضح ببيان فضل محدد[٢].

وفي ضوء ذلك؛ يترجح القول بأن هذه الأحاديث لم تصح نسبتها إلى النبي ﷺ، وأما فضل العقل ومكانته والحث على إعماله، فهو أمر ثابت في عشرات النصوص الشرعية، وفي ذلك ما يغني عن الاحتجاج بما لا يصح من الروايات[٣].

المطلب الثالث: تعريف العقل في اللغة العربية:

ترجع أصل كلمة العقل إلى الإمساك والاستمساك، والمنع، ومثال ذلك:

١ـ العقال: الحبل الذي يُعقل به البعير. ٢ـ العقّال: انقباض شديد التوتر مؤلم في بعض العضلات، يسبّب وقوف الحركة وقتياً. ٣ـ عقل الدواء البطن: أي أمسكه بعد استطلاق. ٤ـ اعتقل لسانه: أي حُبس عن الكلام. ٥ـ العُقلة: ما يعقل به كالقيد. ٦ـ اعتقلت الشرطة المتهم: أي حبسته حتى يحاكم. ٧ـ المعتقل: المحبس. ٨ـ المعقِل: الحصن.

والرجل العاقل: هو الجامع لأمره ورأيه، وقيل: العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، والمعقول: ما تعقله بقلبك، والعقل: التثبت في الأمور، والعقل: القلب، والقلب: العقل، وسمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه، وقيل: العقل هو التمييز الذي يتميز به الإنسان

(١) انظر للتوسع: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: أ. ي. ونسنك، ي. ب. منسنج: ٤/ ٢٩٨- ٣٠٣، مطبعة بريل: ليدن.

(٢) حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٢٩- ٣١، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

(٣) العقلانية هداية أم غواية: عبد السلام البسيوني: ١٥- ١٦.

عن سائر الحيوان، ويقال لفلان قلب عقول: أي فهم، وعقل الشيء فهمه، وتأتي بمعنى أدرك الأشياء على حقيقتها، والعاقل هو المدرك، أو عقل الغلام أي بلغ سن التمييز، وعاقلة الرجل: عصبته، وهم القرابة من جهة الأب الذين يشتركون في دفع ديته، والعقل: ما يكون به التفكير والاستدلال، وتركيب التصورات والتصديقات، ويتميز به الحسن من القبيح، والخير والشر، والحق من الباطل، والألفاظ المرادفة للعقل: اللبّ، الحجر، النُهى، الحلم، الحجى[١].

المطلب الرابع: تعريف العقل عند العلماء المتقدمين والمعاصرين:

أولاً: تعريف العقل عند العلماء المتقدمين:

لعل مصطلحاً لم يحظ بما حظي به هذا المصطلح من أبحاث ودراسات، فقد عرّف مفهوم العقل علماء التوحيد[٢]، والفلاسفة[٣]، وأصول الفقه، وأكتفي بعرض نماذج من تلك التعريفات التي حاولت الكشف عن هذا السر الغامض في الإنسان:

١- (العقل: جوهر لطيف يُفصل به بين حقائق المعلومات).

٢- (العقل: هو العلم لا فرق بينهما).

٣- (العقل: هو قوة ضرورية بوجودها يصح إدراك الأشياء به ويتوجه به تكليف الشرع، وهو مما يعرفه كل إنسان من نفسه).

٤- (العقل: نور يضيء طريق إصابة الحق والمصالح الدينية والدنيوية، فيدرك القلب به كما يدرك العين بالنور الحسي المبصرات)[٤].

---

(١) انظر: لسان العرب: ابن منظور: مادة عقل، المعجم الوجيز: مجمع اللغة العربية: مادة عقل.

(٢) انظر للتوسع: حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٢٧-٢٨.

(٣) علاقة الوحي بالعقل: عثمان قره دنيز: ٢١٣- ٢١٤، مجلة التجديد، العدد (٤)، ربيع الثاني ١٤١٩هـ، أغسطس ١٩٩٨م، الجامعة الإسلامية العالمية: ماليزيا.

(٤) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام: عبد العزيز البخاري: ٢/ ٣٩٤، دار الكتاب العربي: بيروت، المغني في أصول الفقه: عمر الخبّازي: ٢٠٠- ٢٠١، طبع جامعة أم القرى: مكة المكرمة، فتح الغفار بشرح المنار: ابن نجيم الحنفي: ٢/ ٨٤، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: القاهرة.

٥- (العقل: هو غريزة في الإنسان)[١].

والراجح أن العقل يستعمل في عدة معان، وهي ما يلي:

١- الغريزة المتأصلة في الإنسان، وبها يعلم ويعقل، وتعد شرطاً في حصول سائر المعقولات والمعلومات، وهي مناط التكليف، وبها يمتاز الإنسان عن سائر الحيوانات، وعلى هذا المعنى يتنزل كلام من عرَّف العقل بالغريزة.

٢- العلوم الضرورية التي تشتمل على جميع العقلاء؛ كالعلم بالممكنات والواجبات والممتنعات.

٣- العلوم النظرية المكتسبة، والناتجة عن دربة وخبرات ومعارف متراكمة تنمو مع تقدم الإنسان في العمر، وتحصيل العلوم.

٤- الأعمال الناتجة عن مراعاة مقتضى العقول ولوازمها فيما يمكن تسميته بالعقل العملي، وهذا المعنى هو أبرز معاني العقل، وأكثرها استعمالاً في القرآن الكريم[٢].

ثانياً: تعريف العقل عند العلماء المعاصرين:

إن مصطلح العقل والعقلية قد أثار الجدل والنقاش بين الكتاب والباحثين من المسلمين المثقفين في حياتنا الفكرية الدينية الحاضرة، وأنهم يفهمون هذا المصطلح حسب تصور ثقافتهم:

١- (العقل: قوة خفية تدرك بها الأشياء، وهي هبة من الله تعالى نستطيع في ضوئها أن نميز بين الحق والباطل، بين الخبيث والطيب، بين النافع والضار، بين الحسن والقبيح، سواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب أو اسم العلم)[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ١٨/ ٣٣٨.

(٢) حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٢٩.

(٣) الفكر الإسلامي بين العقل والوحي وأثره في مستقبل الإسلام: د.عبد العال سالم مكرم: ٧، الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي: أنور الجندي: ٢٥١، دار الاعتصام: القاهرة.

٢- وقد عرَّف بعضهم الاتجاه العقلي من حيث آراء أعلامه: (كان لهم آراء كثيرة تخالف السلف، وشطحات ما كانوا ليقعوا فيها لولا مبالغتهم الشديدة في تحكيم العقل في كل أمور الدين؛ حتى جاوزوا الحق والصواب)[١].

٣- ومنهم من أطلق عليه الاتجاه العقلاني: (وهو اتجاه فكري عام يمجّد العقل الإنساني، ويغالي في تقديمه على الدين، وتحكيمه في عالمي الغيب والشهادة، ويعطي العقل وأحكامه اعتباراً فوق اعتبار النصوص الشرعية الثابتة عن الله تعالى ورسوله ﷺ، ويجعل العقل وسيلة الإثبات، وأساس الحكم على الأشياء، وطريق القبول لها)[٢].

٤- ومنهم من وصفها بالمدرسة العقلية: (وهي اسم يطلق على ذلك التوجّه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين، ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتاً كبيراً في موقفها من النص الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص؛ سواء كانت نصوص العقيدة، أم نصوص الأحكام، أم الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل)[٣].

٥- سمي الاتجاه العقلي بذلك؛ لأن فيه ما يلي: (الاعتداد الواضح بالعقل، والوثوق بأحكامه، والدعوة المستمرة إلى توظيفه، واحترام نتائجه، ثم تقديمه على النقل عند التعارض، وتأويل النصوص الشرعية كي تتوافق معه)[٤].

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٧٠.

(٢) الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د. مفرح بن سليمان العوسي: ٣٣، ١٠٣، دار الفضيلة: الرياض.

(٣) في حوار هادئ مع محمد الغزالي: الشيخ سلمان بن فهد العودة: ٩، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق بن عبد بن عبد الله شقير: ١٥، المكتب الإسلامي: بيروت.

(٤) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٧٦.

المطلب الخامس: تدرّج العقل:

أما العقل فإنه لا يكون موجوداً بالفعل في الإنسان في أول أمره؛ كما أخبر الله تعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨]؛ ولكن يكون لدى الإنسان استعداد وصلاحية لأنْ يوجد فيه العقل، فهذا الاستعداد يسمى عقلاً بالقوة أو عقلا غريزياً، ثم يحدث العقل فيه شيئاً فشيئاً بخلق الله تعالى إلى أن يبلغ درجات الكمال؛ ويسمى هذا عقلاً مستفاداً[1].

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام: عبد العزيز البخاري: ٢/ ٣٩٤.

obeikandl.com

المبحث الثاني

تأصيل الاتجاه العقلي

إذا أردنا أن نفهم منهج علماء الاتجاه العقلي فلابد من البحث عن الجذور التاريخية لهذه الأفكار ؛ والتي تتمثل في الفكر الاعتزالي، وكيف تسربت أفكارهم إلى عقول المدرسة العقلية الحديثة؟ وهل هناك تشابه بين أفكار أصحاب الاتجاه العقلي وأفكار المعتزلة؟

ولا أريد هنا أن نفصل الحديث عن المعتزلة إلا بقدر ما يخدم البحث؛ لأن المعتزلة أصبحت في طيات التاريخ، وما عاد لها ذلك السلطان الذي ظهر خلال حقبة قصيرة في العصر العباسي الأول ثم تلاشى.

ولما كانت المعتزلة تتبوأ مركز الصدارة بين فِرق الإسلام في تمجيد العقل وتعظيمه، وإعطائه منزلة فوق الكتاب والسنة، ووضوح ذلك في منهجها، كانت تمثل المدرسة أو الاتجاه العقلي القديم تمثيلاً واضحاً، ولاشك أن السنة النبوية وهي المصدر التشريعي الثاني وجدت مواجهات وحملات عنيفة من طائفة الاعتزال، ورد كثير من نصوصها، وتقديم العقل عليها[1].

المطلب الأول: مكانة العقل عند المعتزلة:

لقد أجمع السلف على أن العقل والاجتهاد عموماً يحتل المرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم والسنة المطهرة، إلا أن المعتزلة خالفوا هذا الإجماع، ونصبوا العقل على رأس الأدلة؛ إذ به يدركون القرآن والسنة كما يقولون، فهذا القاضي عبد الجبار في معرض حديثه عن الأدلة الشرعية يقول في تصنيفها: «أولها: دلالة العقل؛ لأن به

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين: ١/ ٩٦، مكتبة الرشد: الرياض.

يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع» ولا شك أنه مدرك مخالفته وصحبه لإجماع الأمة فقال: «وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر، وليس الأمر كذلك؛ لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل»[(١)]، ويواصل تمجيد العقل فيبيّن أنه إنما يتوصل الناس إلى معرفة الله وإدراك حكمته بالعقل. . ، وهكذا فهم أول من حكم العقل في النص لدرجة سمح معها إبراهيم النظّام لنفسه أن يقول: «وإن جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار»[(٢)]، كما أن عمرو بن عبيد ذكر له ذات يوم حديثاً للرسول ﷺ فقال: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته، ولو سمعت ابن مسعود رضي الله عنه يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لردته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا»[(٣)].

وبذلك أهملوا قدسية النص الصحيح قرآناً وسنة، وأقاموا العقل حكماً لا ترد كلمته، وحمّلوه بالإضافة إلى مهمة التحسين والتقبيح، مسؤولية معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع[(٤)].

فقد كانوا يطرحون المسألة، ثم يعرضونها على العقل ـ عقل الواحد منهم بالطبع ـ فيستجمع لها الأدلة كما تتراءى له، لإثباتها على وجه من الوجوه، وحين يصل إلى نتيجة ما، يعمد إلى الأدلة السمعية فيؤول منها ما لا يوافق نتيجته، إن كان من آيات القرآن، أو يرد الحديث بدعوى تناقضه مع العقل، أو أنه مبني على الظن[(٥)].

---

(١) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين: القاضي عبد الجبار: ١٣٩، الدار التونسية: تونس.

(٢) تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة الدينوري: ٦٤، دار الكتب الإسلامية: القاهرة.

(٣) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي: ٣/ ٢٧٨.

(٤) الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ١/ ٥٣، مكتبة الخانجي: القاهرة.

(٥) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد حامد الناصر: ١٦، مكتبة الكوثر: الرياض، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ٢٢٥.

المطلب الثاني: اهتمام المستشرقين وبعض المسلمين بفكر المعتزلة ونشره:

رغم موقف المعتزلة الخاطئ من اعتبار العقل مقدماً على القرآن الكريم والسنة النبوية، ومع ذلك فقد جلب مسلكهم هذا عطف الكثير من المستشرقين عليهم، فكالوا لهم شهادات الاستحسان والإكبار، وقد تعوّد الكثير من المستشرقين الإشادة بكل ما صار في ذمة التاريخ عند المسلمين؛ حتى يشعروا الأجيال الحاضرة أن لا شيء مما يتمسكون به يدعو إلى الإكبار وبالتالي إلى الاعتزاز، فهذا (هنريش شتينر) أطلق عليهم اسم: «المفكرون الأحرار في الإسلام»، وجعل من هذا اللقب عنوان كتابه عنهم(١)، ووصفهم (آدم ميز) و(هاملتون) بأنهم «دعاة الحرية الفكرية والاستنارة»(٢)، وقد بارك المستشرقون موقف المعتزلة من السنة النبوية، ورأوا أن وجهتهم في رد الأحاديث بالعقل هي الوجهة الصحيحة التي يجب أن تناصر وتؤيد ضد المتشددين الحرفيين الجامدين على النصوص، فهم أهل العقل الحر والمنهج القويم الذي يجب أن يبقى ويستمر، فقد كان عميد المستشرقين (جولدتسيهر) يثني عليهم بقوله: «أما فيما يختص بالحديث، فإن المعتزلة كانوا يملكون تحت تصرفهم الوسيلة لرفض الأحاديث التي يلوح منها ما لا يصح أن يقبل من تجسيم أو تشبيه، أو التي تجعل لمثل هذا مكاناً، وهذه الوسيلة هي الطعن فيها بعدم الصحة، وبذلك يتحرر الإسلام من مجموعة كبيرة من الأقاصيص التي تراكمت بمساعدة الاعتقاد الشعبي الشره إلى الأساطير، بصفة خاصة فيما يتصل بالدار الآخرة وما فيها، والتي أيدتْها دينياً صيغة الحديث»(٣).

هكذا مجَّد المستشرقون المعتزلة ومدحوا منهجهم العقلي؛ لأنهم وجدوا فيه تحقيقاً لمآربهم السيئة التي تهدف لهدم السنة بطريق غير مباشر، وقد فتح لهم

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي: أجناس جولدتسيهر: ١٠١.

(٢) المعتزلة بين الفكر والعمل: بحث موقف المعتزلة من السنة: د. أبو لبابة حسين: ١٠٣، الشركة التونسية: تونس.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي: أجناس جولدتسيهر: ١١٠.

المعتزلة الباب على مصراعيه وأعطوهم سلاحاً قوياً ليفتكوا به الأحاديث الصحيحة الثابتة، إنه سلاح الشُبَه العقلية التي يحكمها الهوى[١].

وقد أشار عدد من المستشرقين إلى المحاولات المتعددة لإحياء الفكر الاعتزالي، والاهتمام بدراسته، ونشر تراثه في العصر الحديث، وقد نشر بعض المستشرقين الكثير من المؤلفات الاعتزالية الكبرى كالمغني، وشرح الأصول الخمسة، وكلاهما للقاضي عبد الجبار، والانتصار للخياط، وكتب الجاحظ، وغير ذلك كثير. ومع ما هو معلوم من مساوئ الفكر الاعتزالي فإننا نجد أن بعض الباحثين المعاصرين يشيد بالمعتزلة، ويثني على أرائهم، ويتحسر على اندثار الفكر الاعتزالي، ونجد هذا بصورة أو بأخرى عند كل من: أحمد أمين، ود. إبراهيم مدكور، وأمين الخولي، ود. توفيق الطويل، ود. محمود قاسم، ود. أحمد محمود صبحي، ود. عبد القادر محمود، ود. محمد علي أبو ريان، ود. زكي نجيب محمود، ود. محمد عمارة.

وثمة أسباب كثيرة كانت وراء هذا الاهتمام الكبير بالفكر الاعتزالي في العصر الحديث، ومن ذلك ظروف العصر الفكرية، وشيوع الفلسفات العقلية، ومحاولة البحث عن مقابل لها في الفكر الإسلامي، وطريقة تعامل المعتزلة مع الوافد الأجنبي، وتبنيهم لكثير من أفكاره، ومحاولة بعض الباحثين المعاصرين الاستفادة من ذلك في تعاملهم مع الحضارة الغربية الحديثة، والنزعة العقلية عند المعتزلة، وإعجاب الكثيرين بها كسبيل لمواجهة حالة الجمود التي تعاني منها الأمة الإسلامية[٢].

المطلب الثالث: أوجه التشابه بين أفكار المعتزلة وأفكار أصحاب الاتجاه العقلي الحديث:

بعد اطلاعي على الفكر الاعتزالي القديم وآراء الاتجاه العقلي المعاصر لاحظت أن هناك مساحات مشتركة بين الفكرين تظهر بما يلي:

---

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين: ١/ ٤٣٤- ٤٣٦.

(٢) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٨٠- ٨١.

أولاً: كلا الفكرين رفع من مكانة العقل وقيمته، مما حدا بهما إلى تقديمه على النقل من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ثانياً: تأويل نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بما يخدم العقل، وبعبارة أخرى إخضاع النقل للعقل.

ثالثاً: اعتبار دليل خبر الواحد في السنة ظنياً، وبالتالي من الممكن رده إذا خالف العقل أو القرآن؛ مما حدا بهما إلى رد كثير من الأحاديث بحجة مخالفتها للعقل أو للقرآن حتى لو كانت في صحيح البخاري ومسلم، فأدى بهم إلى إنكار أحاديث المعجزات الحسية أو تأويلها، وكذلك إنكارهم لسحر النبي ﷺ من قِبل اليهود، وكذلك إنكارهم للجن، والملائكة، وعذاب القبر، ورؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة، والشفاعة، وأشراط الساعة من انشقاق القمر، والدجال، والمهدي، ونزول عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك[١].

ولا يمكن تسمية الاتجاه العقلي بالاتجاه الاعتزالي؛ رغم استعمال هذه التسمية من قبل بعض المستشرقين والمسلمين، ورغم الدور الكبير الذي قام به أصحاب هذا الاتجاه في نشر الفكر الاعتزالي، والإشادة به، ورد الاعتبار إليه، وموافقته في الكثير من الأسس المنهجية.

وإذا كانت المعتزلة بأصولها الخمسة[٢] قد انقرضت كفرقة مستقلة ذات آراء معينة، فقد استمرت كنزعة فكرية ما زالت تعيش بيننا تحت رداء تحكيم العقل،

---

(١) انظر: موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين: ١/ ٣٧٩، ٣٩٧، ٢/ ٢٠٢، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد الرومي: ٢/ ٥١٨، ٥٢١، ٥٢٣، ٥٥٦، ٥٧٩، ٦٩٨، ٨١٠، مكتبة الرشد: الرياض، حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٢٧- ١٣١، ١٦٠، ٣٢٨، المعتزلة بين الفكر والعمل: بحث موقف المعتزلة من السنة: د. أبو لبابة حسين: ١١٣، ١١٨، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٦.

(٢) وهي ما يلي: «١- التوحيد. ٢- العدل. ٣- الوعد والوعيد. ٤- المنزلة بين المنزلتين. ٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». انظر: المعتزلة: زهدي حسن جار الله: ٥١- ٨٦، المكتبة الأزهرية للتراث: القاهرة.

وحرية الرأي، وتأويل النصوص، وإذا كان الاعتزال قد حورب وطورد في البلاد الإسلامية طوال ستة قرون فيما بين القرن السادس والثاني عشر للهجرة؛ فإنه استعاد شيئاً من الحياة في القرن الثالث عشر الهجري، واستمر إلى يومنا هذا (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

ولم نجد من وافق المعتزلة في أصولهم الخمسة تماماً، أو تبنى آراءهم التفصيلية في سائر القضايا، وإنما انصبت الموافقة في الغالب على عدد من أصولهم المنهجية الأساسية؛ مثل دور العقل ووظيفته، وتقديمه على النقل، وتأويل النصوص الشرعية، وفكرة الحرية الإنسانية، وما أشبه ذلك، أي أنهم أخذوا من آراء المعتزلة، ومن غيرهم، ولم يلتزموا بمذهب بعينه على طول الخط، وهذا ما نرجّحه[1].

(١) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٧٩- ٨١.

obeikandl.com

المبحث الثالث

مبادئ الاتجاه العقلي

في هذا المبحث سأذكر أبرز الأصول والقواعد المنهجية التي يقول بها أصحاب الاتجاه العقلي حديثاً بشكل عام، ثم موقفهم من السنة النبوية بشكل خاص، وذلك بما يلي:

المطلب الأول: مبادئ الاتجاه العقلي العامة:

أولاً: الإعلاء الشديد من قيمة العقل ومكانته، والوثوق به كمصدر معرفي معتبر للوصول إلى الحقائق في أي مجال، ومن ذلك مجال العقيدة، ونقل الاتفاق على إفادة الدليل العقلي للقطع واليقين، وفي هذا المعنى يقول الشيخ محمود شلتوت: «وقد اتفق العلماء على أن الدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامها إلى الحس أو الضرورة؛ يفيد ذلك اليقين، ويحقق الإيمان المطلوب»[1].

كذلك حرص أصحاب هذا الاتجاه في دعوتهم للمسلمين إلى استخدام العقل وتوظيفه، على إبراز عناية الإسلام الشديدة بالعقل، والدعوة إلى إعماله، وذم المعرضين عنه.

كما كان للنزعة العقلية البارزة عندهم دور مؤثر في اختيارهم للرأي الراجح في عدد من المسائل الخلافية، ومن ذلك تبنّي بعضهم القول بوجوب النظر لمعرفة الله تعالى، واعتبار ذلك من أول الواجبات على المكلف.

ثانياً: الذم الشديد للتقليد والمقلدين، واعتبار التقليد من أهم الأسباب التي أدت إلى النكسة المروعة التي أصابت مسيرة الحضارة الإسلامية، والدعوة المستمرة للاجتهاد، ومحاربة التعصب للمذاهب الفقهية، وقد ظهرت آثار عملية عديدة لموقفهم هذا؛ فأفتى بعضهم بأقوال مخالفة لمذاهب الأئمة الأربعة في عدد

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت: ٥٣.

من المسائل الفقهية[١]، كما تبنى بعضهم القول بعدم صحة إيمان المقلد، وكذا القول بنجاة من اجتهد في الوصول إلى الحق ولم يوفّق في تحصيله.

ثالثاً: برزت فكرة تقديم العقل على النقل عند افتراض التعارض بينهما لدى الكثيرين من أصحاب هذا الاتجاه؛ بل وصل الأمر إلى تصوير هذه الفكرة ـ مع عدم صحتها أصلاً ـ كما لو كانت محل اتفاق بين المسلمين جميعاً، وموضع فخر ومحمدة للإسلام.

ويحسن بنا أن ننقل نص الشيخ محمد عبده الذي يقول فيه: «اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل، أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه وتفويض الأمر إلى الله في علمه، والطريق الثانية: تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل، وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة، وعمل النبي ﷺ، مُهدت بين يدي العقل كل سبيل، وأُزيلت من سبيله جميع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حد، فماذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب إلى ما هو أبعد من هذا؟، وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم إن لم يسعهم هذا الفضاء»[٢].

رابعاً: كذلك ظهرت فكرة تقديم العلم على النقل عند بعض أصحاب هذا الاتجاه، مثل الشيخ عبد الوهاب النجار الذي قرر أن العلماء إذا أثبتوا نظرية علمية إثباتاً قاطعاً يبلغ حد البديهة وجب التسليم بها، وتأويل ظاهر القرآن تأويلاً يتفق مع ما أثبته العلم، وهو يعتبر هذا القانون أثراً من اعتماد الدين على العقل، وعناية المسلمين به، وتعويلهم في عقائدهم عليه، فهم يوجبون ما أوجبه، ويحيلون ما أحاله، ويجيزون ما أجازه، وليس العلم إلا ثمرة من ثمار العقل، وفرعاً من فروعه[٣].

---

(١) مثل: إباحة التيمم للمسافر مع وجود الماء، وهذا مخالف للمذاهب الأربعة. انظر: منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم: د. عبد الله محمود شحاته: ٤٩- ٥٢.

(٢) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د. محمد عمارة: ٣/ ٣٠١- ٣٠٢، دار الشروق: القاهرة.

(٣) قصص الأنبياء: الشيخ عبد الوهاب النجار: ١٣- ١٤، دار النصر: دمشق، بيروت.

خامساً: غلبت النزعة الدفاعية على كثير من أصحاب هذا الاتجاه، لاسيما رواده الأوائل كالشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، مما حدا بهم إلى تخصيص جانب كبير من جهدهم ومؤلفاتهم للرد على من هاجم الإسلام من المستشرقين وغيرهم، كما شغلوا بمحاولة تقديم الإسلام للغربيين في صورته المثلى، وإزالة الأفكار الخاطئة التي علقت بأذهان أكثر أبناء الغرب عن الإسلام وأحكامه، لكن كما هي العادة في ردود الأفعال فإن السير وراء تلك النزعة قد تجاوز الحد أحياناً، وأدى إلى ظهور الكثير من التأويلات والآراء الخطيرة[١].

سادساً: من أهم مبادئ الاتجاه العقلي في تفسير القرآن الكريم هو التركيز على الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية، والوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، وتحكيم العقل والنظر في التفسير، وأن الآيات القرآنية شاملة لكل الناس في كل زمان ومكان، وأن القرآن هو المصدر الأول في التشريع، وترك الإطناب فيما ورد مبهماً في القرآن الكريم، والتحذير من التفسير بالإسرائيليات، والتقليل من شأن التفسير بالمأثور، والتركيز على الإصلاح الاجتماعي عند تفسير القرآن الكريم[٢].

المطلب الثاني: مبادئ الاتجاه العقلي الخاصة بالسنة النبوية:

لم يكن تعامل الكثيرين من أصحاب هذا الاتجاه مع السنة النبوية وأحاديثها على الوجه الذي ينبغي، ولم يعرف عنهم التخصص في دراسة السنة، والتمييز بين صحيحها من ضعيفها، وهذا أدى بهم إلى أمرين اثنين هما:

---

(١) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٨١- ٨٣، مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر تأملات في المنطلق والمصب: د.عبد الرزاق قسوم: ٨١- ٩٠، في حوار هادئ مع محمد الغزالي: الشيخ سلمان ابن فهد العودة: ١٠.

(٢) انظر للتوسع: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د.فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٢٢٢- ٣٨٣، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: د.فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ٢/ ٧١٨- ٧٩٨، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم: د.عبد الله محمود شحاته: ٤٠- ١٩١.

أولاً: تبنى أكثرهم القول بظنية أخبار الآحاد، وعدم جواز الاعتماد عليها في إثبات مسائل العقيدة الإسلامية، أو الأحكام الفقهية، والأعجب من ذلك حكايتهم الإجماع والاتفاق على هذا القول، وسوف أفصّل القول في ذلك في الفصل الثاني الآتي إن شاء الله تعالى.

ثانياً: على المستوى العملي وُجد لدى بعضهم نوع من الجرأة غير المقبولة بحال في تضعيف الأحاديث أو تأويلها، حتى لو كانت مما رواه الإمام البخاري ومسلم، واتفق المحدثون على صحتها، فصحة السند عندهم غير كافية للحكم بثبوت الحديث؛ بل لابد من عرض متنه على آيات القرآن الكريم وموازين العقل البشري، فلذلك ردوا وأنكروا كثيراً من الأحاديث الصحيحة، والأمثلة على ذلك كما يلي:

١- الأحاديث المتصلة بالعقيدة الإسلامية، مثل: أشراط الساعة؛ كنزول عيسى عليه السلام[١]، والمهدي[٢]، والدجال[٣]، ثم أحاديث الشفاعة[٤]، ثم أحاديث عذاب القبر[٥].

٢- الأحاديث المتعلقة بمعجزات النبي ﷺ، مثل: انشقاق القمر[٦]، والإسراء والمعراج[٧].

---

(١) الفتاوى: محمود شلتوت: ٦١- ٨٢، فضائح الترابي: عبد الله حجاج: ١٦٥- ١٦٦، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٢) المهدي المنتظر في روايات أهل السنة والشيعة الإمامية: دراسة حديثية نقدية: د.عداب محمود الحمش: ١٦٥- ٢٠٢، دار الفتح: عمان، مع الدكتور أحمد أمين في حديث المهدي والمهدوية: محمد أمين زين الدين: ٤٣- ٥٦، مؤسسة النعمان: بيروت.

(٣) حوار حول أحاديث الفتن وأشراط الساعة: جواد موسى محمد عفانة: ٦١، ٧٦، طبع جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان، استحالة ظهور المسيح الدجال: إيهاب حسن: ٦٣- ٢٠٤، مكتبة النافذة: القاهرة.

(٤) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٨٥- ١٠٦، دار أخبار اليوم: القاهرة، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢١- ٩٠.

(٥) حقيقة عذاب القبر: جواد موسى محمد عفانة: ١٤٧- ٢١٤، عذاب القبر افتراء على الله ورسوله: محمد عبد المنعم مراد: ٥١- ٦٨.

(٦) الاتجاه العقلي في تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا: فوزية عاشور حسن المشتولي: ٢٦٩- ٢٧١، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: د.فريد مصطفى سليمان: ١٠٧،

(٧) محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: د.فريد مصطفى سليمان: ١٠٧، ١٥٠- ١٦٣،

=

٣- الأحاديث المتعلقة بالأحكام العملية، مثل: حد الردة[١]، وحد الرجم[٢]، وحد السرقة[٣].

٤- الأحاديث المتعلقة بالسيرة النبوية، مثل: حديث سحر النبي ﷺ[٤]، وشق صدر النبي ﷺ[٥].

= أحاديث الإسراء والمعراج: دراسة توثيقية: د.رفعت فوزي عبد المطلب: ٨٧- ١٧٢، مكتبة الخانجي: القاهرة.

(١) كلا ثم كلا، كلا لفقهاء التقليد كلا لأدعياء التنوير: جمال البنا: ٦٢- ٩٣، دار الفكر الإسلامي: القاهرة، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٠٦- ١١٨، دار الأوائل: دمشق.

(٢) الشيخ عبد الله العلايلي والتجديد في الفكر المعاصر: د.فايز ترحيني: ٣٣٩، دار عويدات: بيروت، خواطر مسلم في المسألة الجنسية: محمد جلال كشك: ٦٩- ٧٤، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة، دور السنة في إعادة بناء الأمة: جواد موسى محمد عفانة: ٢١٠- ٢٢٣، ٢٨٤، طبع جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان.

(٣) شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم: د.عبد المتعال الجبري: ٦٧، دار الاعتصام: القاهرة.

(٤) منهج النقد عند علماء الحديث النبوي: د.صلاح الدين بن أحمد الإدلبي: ٢٥٥- ٢٥٧، حديث السحر النبوي بين حجة النقل وجدل العقل: رضا بن زكريا حميدة: ٦٧- ٩٤، دار الطباعة المحمدية: القاهرة.

(٥) حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين: محمد أمين شيخو: ٨٢- ٨٦، دار نور البشير: دمشق، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق بن عبد بن عبد الله شقير: ٣٦٠.

obeikandl.com

المبحث الرابع

أبرز أعلام الاتجاه العقلي المعاصرين

المطلب الأول: الشيخ جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ـ ١٣١٥هـ، ١٨٣٨ـ ١٨٩٧م):

ولد الشيخ في قرية أسعد أباد بمحافظة كابل بأفغانستان، ويعتبر أول رجال الاتجاه العقلي، وهو الذي قام ببلورته وتأسيسه من خلال دعوته إلى التجديد في الدين، وكانت دعوته قائمة على الاعتماد على منطق العقل، والبعد عن التقليد دون إهمال لسلطان القرآن والحديث، وهو يطالب بالرجوع إلى جوهر الدين، وتفسيره تفسيراً يتلاءم مع روح العصر، ولذلك أخذ الشيخ يشرح للمصريين قواعد الإسلام الصحيحة من وجهة نظره، وأبان لهم أن المسلم لا يكون مسلماً صحيح الإسلام إلا إذا اعتقد عن دليل وبرهان، وقد نشأ من جراء صراحته هذه، وتجديده في الدين مريدون كثيرون، وأصبح لدعوته أثر كبير في المجتمع المصري، وبالرغم من المعارضة التي وقفت في سبيله، والتهم التي وجهت إليه، فقد استطاع الشيخ جمال الدين أن يخلف وراءه مدرسة تأخذ بتعاليمه، وتعتمد على آرائه، وكانت مدرسته قوية الأثر واضحة المعالم[(١)].

ويكاد الشيخ أن يكون عديم الأثر في الجانب الحديثي على تلامذته أو من بعدهم؛ بل يكاد لا يعرف له موقف محدد في هذا الشأن[(٢)]، وكانت كلماته تدعو إلى ثلاث غايات: التماس مفهوم القرآن، الوحدة الإسلامية، تقييد سلطة المستبدين من الحكام[(٣)].

---

(١) جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث: د. عبد الباسط محمد حسن: ١٩٣، مكتبة وهبة: القاهرة، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٧٥- ١٢٣.

(٢) موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق شقير: ٤٠٩.

(٣) انظر للتوسع: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ٥٦- ٦٤.

وقد اعتبره بعض العلماء من مجددي القرن الثالث عشر الهجري[١]، وشكّك بعض العلماء المعاصرين في دعوته ؛ لأن سيرته يلفها كثير من الغموض، خاصة وأن المؤرخين اختلفوا في شأنه[٢].

المطلب الثاني: الشيخ محمد عبده الغرابلي المصري (١٢٦٦ـ ١٣٢٣هـ، ١٨٤٩ـ ١٩٠٥م):

ولد الشيخ في محلة نصر بمحافظة البحيرة بمصر، وكان تلميذاً للشيخ جمال الدين الأفغاني، واتصل به عندما جاء إلى مصر سنة (١٢٨٨هـ، ١٨٧١م)، ثم حضر دروسه ولازم مجالسه التي كانت مجالس حكمة وعلم، وكان مفتياً للديار المصرية ما بين عامي (١٣١٧هـ، ١٨٩٩م، ١٣٢٣هـ، ١٩٠٥م)، أي حتى وفاته رحمه الله تعالى، وكان لقبه بالأستاذ الإمام[٣]، ويعتبر الشيخ الأب الروحي للاتجاه العقلي ـ على الراجح ـ وهو الذي أقام صروحه ودعا إليه، ونشره بين الناس، فكان بحق هو صاحبه، وأستاذه وإمامه، فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه الشيخ جمال الدين[٤]، وكانت دعوته تتمثل في تأسيس الاعتقاد على العقل، ونبذ التقليد والدعوة للاجتهاد، والتأويل العقلي للنصوص الدينية، وتحطيم المذهبية في علم التوحيد، وتحليل الأصول الإسلامية تحليلاً عقلياً يربطها بالعمل، والمواءمة بين الإسلام ومتطلبات العصر[٥]، ويكثر الشيخ من اشتراط التواتر في الحديث، ومن

(١) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر: عبد المتعال الصعيدي: ٣٧٠-٣٧٣.

(٢) انظر للتوسع: تجديد الفكر الإسلامي: د.الحسن العلمي: ٢١٧- ٢٢٦، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٣) انظر للتوسع: منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم: د.عبد الله محمود شحاته: ٣- ٣٠، مطبعة جامعة القاهرة، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير: د.عبد الغفار عبد الرحيم: ١٩- ٢٦، ١٠٣، دار الأنصار: القاهرة.

(٤) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د.فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ١٢٤، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٧٧، دراسات نقدية في الفكر الإسلامي المعاصر: د.جمال المرزوقي: ١١٧- ١٣١، دار الآفاق العربية: القاهرة.

(٥) إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ الإمام محمد عبده: د.محمد صالح محمد السيد: ٢٧- ١٠٨، دار قباء: القاهرة.

رد أو تأويل البعيد لأحاديث الاعتقاد، ويقدم أحياناً ظاهر القرآن الكريم على السنة الصحيحة[١].

وقد اعتبره بعض العلماء المعاصرين من مجددي القرن الرابع عشر الهجري[٢]، أو مجدد الفكر الإسلامي[٣]، وبعض العلماء المعاصرين قد شكك في دعوته، وإصلاحه المزعوم، وأنه كان مرتكز تيار التغريب بمصر وغيرها[٤].

المطلب الثالث: الشيخ محمد رشيد رضا الشامي ثم المصري (١٢٨٢ـ ١٣٥٤هـ، ١٨٦٥ـ ١٩٣٥م):

ولد الشيخ في قرية القلمون بمحافظة طرابلس الشام في لبنان حالياً، وقد كان تلميذاً للشيخ محمد عبده، واتصل به عندما هاجر الشيخ إلى مصر سنة (١٣١٥هـ، ١٨٩٧م)، وأخبره بغرضه من الهجرة، وهي تلقي الحكمة عنه، وأنه يعتقد أنه بقية رجاء المسلمين في السعي إلى الإصلاح والاضطلاع، ثم عرض على الشيخ محمد عبده أن يبدأ في إلقاء دروس التفسير، وبعد إلحاح كبير منه وافق الشيخ محمد عبده في إلقاء دروس في التفسير حتى وفاته.

وقد أسس مجلة المنار لنشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وإقامة الحجة على أن الإسلام دين شامل، ومواصلة السير على منهج مجلة العروة الوثقى؛ التي كان يصدرها كل من الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده المصري في منفاهما في باريس بفرنسا[٥].

---

(١) موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق شقير: ٤٠٩.

(٢) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر: عبد المتعال الصعيدي: ٣٩٩- ٤٠٥.

(٣) انظر للتوسع: في مناهج تجديد الفكر الإسلامي: د. محمد إبراهيم الفيومي: ٢٩- ٦٦، دار الفكر العربي: القاهرة.

(٤) انظر للتوسع: تجديد الفكر الإسلامي: د. الحسن العلمي: ٢٢٦- ٢٣١.

(٥) انظر للتوسع: محمد رشيد رضا: جهاده في خدمة العقيدة وأثره في الاتجاهات المعاصرة: خالد بن فوزي آل حمزة: ١٢- ٥١، مؤسسة قرطبة: القاهرة، السيد محمد رشيد رضا: إصلاحاته الاجتماعية والدينية: د. محمد أحمد درنيقة: ١٥- ٣٣، مؤسسة الرسالة: بيروت.

وقد اعتبره بعض العلماء المعاصرين من مجددي القرن الرابع عشر الهجري[١]، وقد وصفوه بوصف السلفية؛ خاصة أن بعض تلاميذه كانوا من الاتجاه السلفي، أمثال: الشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشيخ أحمد محمد شاكر، وغيرهم[٢]؛ ولإعجابه الشديد بابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وبأئمة الاتجاه السلفي عموماً، وموافقته لهم في الكثير من الآراء، وخاصة في محاربته للبدع، إلا أننا نجد لديه أقوالاً أخرى مباينة تماماً للاتجاه السلفي، ومتبعاً فيها للاتجاه العقلي، وذلك في قضايا أساسية، مثل: تحكيم العقل في تفسير القرآن الكريم، والتعامل مع السنة وأحاديث الآحاد، وتأويل كثير من الأحاديث أو ردها بحجة عدم موافقتها للعقل ولو كانت في صحيح البخاري ومسلم؛ كحديث سحر النبي ﷺ، والمعجزات، وأشراط الساعة كانشقاق القمر وطلوع الشمس من المغرب...[٣]، وهذا كله يرجّح أنه من أعلام الاتجاه العقلي، وقد بلغت مؤلفاته حوالي (٢٧) كتاباً[٤].

المطلب الرابع: الشيخ محمود شلتوت المصري (١٣١٠ـ ١٣٨٣هـ، ١٨٩٣ـ ١٩٦٣م):

ولد الشيخ في قرية منية منصور بمحافظة البحيرة بمصر، وقد كان مترسماً لخطى الشيخ جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ محمد مصطفى المراغي، وكان صاحب نزعة اجتهادية لم يقلد أحداً منهم في آرائه، إنما أطلق لعقله النظر في المسائل والقضايا برجوعه إلى الكتاب والسنة.

---

(١) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر: عبد المتعال الصعيدي: ٤٠٦- ٤١٠.

(٢) محمد رشيد رضا: جهاده في خدمة العقيدة وأثره في الاتجاهات المعاصرة: خالد بن فوزي آل حمزة: ٤٨.

(٣) انظر للتوسع: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٦٨- ٦٩، الاتجاه العقلي في تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا: فوزية عاشور حسن المشتولي: ١٤٠، ٢٧١، رسالة ماجستير، كلية التربية والآداب والعلوم للبنات، جامعة عين شمس بالقاهرة، منهج المنار في تفسير القرآن الكريم: عرض وتقويم: د. محمد السيد راضي جبريل: ١/ ٣١- ٥٢، مجلة حولية كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، العدد (٢٠)، (١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م).

(٤) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ١٨١- ١٨٢.

وقد تولى مشيخة الأزهر حتى وفاته ما بين عامي (١٣٧٨-١٣٨٣هـ، ١٩٥٨-١٩٦٣م) وكان له أفكار تجديدية وإصلاحية تمثلتْ في تطوير وتجديد الأزهر الشريف؛ بإصدار قانون رقم (١٠٣) لعام (١٣٨١هـ، ١٩٦١م) الذي أجاز بتأسيس ما يلي:

١- مجمع البحوث الإسلامية.

٢- الكليات العلمية من طب وهندسة...

٣- كليات خاصة للبنات.

٤- مدينة البعوث الإسلامية لتمثل (٩٢) جنسية من جنسيات الأقطار الإسلامية وغيرها.

٥- معهد البعوث الإسلامية الذي يؤهل الطلاب غير العرب للدراسة باللغة العربية.

٦- إضافة تدريس القانون المقارن إلى كليات الشريعة فأصبح اسمها كليات الشريعة والقانون.

٧- تدريس فقه الشيعة إلى جانب فقه المذاهب السنية.

٨- أصبحت المعاهد الدينية؛ الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، تغطي كل قرى مصر التي تقترب من ستة آلاف.

٩- أصبحت كليات جامعة الأزهر تغطي كل محافظات مصر، وعددها (٦٥) كلية[١].

وللشيخ آراء تتبع الاتجاه العقلي في مسألة خبر الواحد في الحديث[٢]، وإنكاره نزول عيسى عليه السلام، ورفعه إلى السماء[٣]، وغيرها[٤]، وقد بلغت مؤلفاته حوالي عشرة كتب[٥].

---

(١) انظر للتوسع: الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت: د. محمد عمارة: ٣٩- ٥٤، سلسلة دراسات إسلامية، العدد (٧٠)، طبع وزارة الأوقاف: القاهرة، في مناهج تجديد الفكر الإسلامي: د. محمد إبراهيم الفيومي: ١٥٧- ١٦٩.

(٢) انظر: الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت: ٥٨- ٥٩.

(٣) انظر: الفتاوى: الشيخ محمود شلتوت: ٦١- ٨٢، دار الشروق: القاهرة.

(٤) انظر للتوسع: اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ٢٧٠.

(٥) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٢٠١.

obeikandl.com

المطلب الخامس: الشيخ محمد عزة دروزة الفلسطيني ثم السوري (١٣٠٥ـ ١٤٠٤هـ، ١٨٨٨ـ ١٩٨٤م):

ولد الشيخ في مدينة نابلس في فلسطين، ثم هاجر إلى سوريا وحصل على الجنسية السورية، ويلاحظ تأثره بالشيخ محمد رشيد رضا، وبالاتجاه العقلي عموماً، فنجده يرد أو يؤول كثيراً من الأحاديث الصحيحة في تفسيره المسمى بالتفسير الحديث، ولو كانت هذه الأحاديث في صحيح البخاري ومسلم، فقد أنكر أحاديث الإسراء والمعراج، وحديث سحر النبي ﷺ، وحديث انشقاق القمر، والأحاديث المتعلقة بالجن، ويرد الكثير من أحاديث أسباب نزول الآيات القرآنية، وقد يرد الأحاديث الصحيحة؛ على مستند ظني قائم في نفسه، أسماه السياق العام للآيات[١]، وقد بلغت مؤلفاته (٣٩) كتاباً[٢].

المطلب السادس: أبرز المتأثرين بالاتجاه العقلي:

أولاً: في مصر:

١ـ أ. عبد الله نديم (١٢٦١ـ ١٣١٤هـ). ٢ـ الشيخ علي يوسف (١٢٧٦ـ ١٣٢٩هـ).

٣ـ الشيخ عبد الوهاب النجار (١٢٧٨ـ ١٣٦٠هـ). ٤ـ الشيخ عبد العزيز جاويش (١٢٩٣- ١٣٤٧هـ). ٥ـ أ. محمد فريد وجدي (١٢٩٥ـ ١٣٧٣هـ). ٦ـ الشيخ محمد مصطفى المراغي (١٢٩٨ـ ١٣٦٤هـ). ٧ـ الشيخ أحمد مصطفى المراغي (١٣٠٠ـ ١٣٧٢هـ).

٨ـ الشيخ مصطفى عبد الرازق (١٣٠٢ـ ١٣٦٦هـ).

٩ـ الشيخ عبد الوهاب خلاف (١٣٠٥ـ ١٣٧٥هـ).

---

(١) انظر للتوسع: محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: د. فريد مصطفى سليمان: ٣٣- ٦٠، ١٠٣- ١٠٨، ١٥٠- ١٦٣، ٢١٣- ٢١٨، مكتبة الرشد: الرياض، اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا: د. فضل حسن عباس: ٥٣٣، ٥٦٤- ٥٦٦، ٥٧٦، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر.

(٢) تكملة معجم المؤلفين: محمد خير رمضان يوسف: ٥٢٣- ٥٢٦، دار ابن حزم: بيروت.

١٠ـ أ. محمد حسين هيكل (١٣٠٥ـ ١٣٧٦هـ).

١١ـ عباس محمود العقاد (١٣٠٦ـ ١٣٨٣هـ).

١٢ـ الشيخ علي الخفيف (١٣٠٨ـ ١٣٩٨هـ).

١٣ـ أ. عبد الوهاب عزام (١٣١٢ـ ١٣٧٩هـ).

١٤ـ أ. عبد الرزاق السنهوري (١٣١٣ـ ١٣٩١هـ).

١٥ـ أ. أمين الخولي (١٣١٣ـ ١٣٨٥هـ).

١٦ـ الشيخ محمد أبو زهرة (١٣١٦ـ ١٣٩٤هـ).

١٧ـ د. محمد البهي (١٣٢٣ـ ١٤٠٢هـ).

١٨ـ الشيخ حسن البنا (١٣٢٤ـ ١٣٦٨هـ).

١٩ـ الشيخ محمد المدني (١٣٢٥ـ ١٣٨٨هـ).

٢٠ـ الشيخ أحمد حسن الباقوري (١٣٢٥ـ ١٤٠٥هـ).

٢١ـ الشيخ محمد الغزالي (١٣٣٥ـ ١٤١٦هـ).

٢٢ـ د. محمد عبد الله دراز. ٢٣ـ أ. إبراهيم اللقاني.

٢٤ـ د. طه حسين. ٢٥ـ د. أحمد أمين. ٢٦ـ أ. سيد قطب.

٢٧ـ أ. عبد المتعال الصعيدي. ٢٨ـ أ. زكي مبارك.

٢٩ـ د. إبراهيم بيومي مدكور. ٣٠ـ د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ.

٣١ـ د. محمد رضا محرم. ٣٢ـ د. مصطفى محمود.

٣٣ـ د. يوسف القرضاوي. ٣٤ـ د. محمد سليم العوا.

٣٥ـ د. أحمد كمال أبو المجد. ٣٦ـ د. محمد يوسف موسى.

٣٧ـ د. محمود قاسم. ٣٨ـ د. أحمد محمود صبحي.

٣٩ـ أ. فهمي هويدي.

٤٠ـ أ. جمال البنا.

obeikandl.com

ثانياً: في سوريا:

١ـ الشيخ عبد الرحمن الكواكبي (١٢٧٠ـ ١٣٢٠هـ).

٢ـ أ. عبد الحميد الزهراوي (١٢٧٢ـ ١٣٣٤هـ).

٣ـ الشيخ جمال الدين القاسمي. ٤ـ د. محمد معروف الدواليبي.

٥ـ الشيخ محمد أمين شيخو (١٣٠٨ـ ١٣٨٤هـ).

٦ـ أ. عبد الهادي الباني. ٧ـ أ. عبد القادر الديراني.

٨ـ د. محمود عكام. ٩ـ د. صلاح الدين الإدلبي.

١٠ـ د. محمد الحبش. ١١ـ أ. جودت سعيد.

ثالثاً: في فلسطين:

ـ أ. جواد موسى محمد عفانة.

رابعاً: في لبنان:

١ـ الشيخ عبد القادر المغربي (١٢٨٤ـ ١٣٤٧هـ).

٢ـ أ. شكيب أرسلان (١٢٨٦ـ ١٣٦٦هـ). ٣ـ الشيخ عبد الله العلايلي.

خامساً: في العراق:

د. عبد الستار الراوي.

سادساً: في الجزائر:

١ـ الشيخ عبد الحميد بن باديس (١٣٠٥ـ ١٣٥٩هـ).

٢ـ أ. محمد البشير الإبراهيمي (١٣٠٦ـ ١٣٨٥هـ).

٣ـ أ. مالك بن نبي (١٣٢٣ـ ١٣٩٣هـ).

سابعاً: في المغرب:

ـ أ. علال الفاسي (١٣٢٦ـ ١٣٩٤هـ).

obeikandl.com

ثامناً: في تونس:

١ـ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٦ـ ١٣٩٣).

٢ـ أ. محمد بن الفاضل بن عاشور (١٣٢٧ـ ١٣٩٠هـ).

٣ـ الشيخ راشد الغنوشي.

تاسعاً: في السودان:

ـ د. حسن عبد الله الترابي.

عاشراً: باكستان:

ـ د. محمد إقبال (١٢٨٩ـ ١٣٥٧هـ).[(١)]

وينبغي التنبيه هنا إلى أن إدراج الشخصيات المذكورة ضمن هذا الاتجاه؛ لا يعني موافقتهم التامة للاتجاه العقلي في كل صغيرة وكبيرة، ولا يستلزم الحكم بصحة كل ما ذهبوا إليه من آراء.

ومن الملاحَظ أن الشخصيات التي أشرت إليها آنفاً؛ قد تأثرت بالمدرسة العقلية عموماً، وبكتب الشيخ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا على الخصوص، وكان لها دور كبير في نشر هذا الفكر بمصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي، وتعريف الناس به.

(١) انظر: الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت: د. محمد عمارة: ٩- ١١، جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث: د. عبد الباسط محمد حسن: ١٩٥- ٢٣٦، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد بن عبد الرحمن الرومي: ١/ ٧٣- ٢١١، أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ٨، دار العصماء: دمشق، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير: د. عبد الغفار عبد الرحيم: ٣٢٣- ٤٠٩، الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية: دراسة نقدية: د. مفرح بن سليمان العوسي: ٤٠، ٤٩- ٥٣، ١٢١، ٢٣٩، ٢٥٤، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري: د. حمد بن صادق الجمال: ١/ ٢٦٩، ٢٨٧، مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ٧٧.

obeikandl.com

الفصل الثاني

رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في عدم حجية خبر الواحد والرد عليها

المبحث الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في عدم حجية خبر الواحد.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد.

المطلب الثاني: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد.

المبحث الثاني: أدلة العلماء في حجية خبر الواحد والرد على أدلة الاتجاه العقلي.

المطلب الأول: أدلة العلماء في حجية خبر الواحد.

المطلب الثاني: رد العلماء على أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد.

obeikandl.com

المبحث الأول

رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في عدم حجية خبر الواحد

قضية الاحتجاج بخبر الواحد[١]، من القضايا التي كثر حولها الكلام في حياتنا المعاصرة، إلا أن كثيراً من الكتّاب المعاصرين قد تناولوا المسألة بطريقة تعتمد إطلاق التعميمات، والتناول الجزئي للمسألة، واعتماد الاستثناءات لتكون قاعدة في الفهم، ويعرضونها بطريقة توحي للقارئ بأن الأصل عدم قبولها، وإذا قبلت فبشروط وقيود، ويوظف الأعداء من كل جانب هذه الأقوال للتشكيك في السنة النبوية، والتقليل من أهميتها، وهي قضية قديمة، تصدى كثير من علماء الإسلام لبيانها وإحقاق الحق بشأنها، وسنعرض لرأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في ذلك.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد:

إن سبب تبني هذا الاتجاه لهذا الرأي؛ هو لغلبة المنحى العقلي على تفكيرهم، وإيثارهم لأدلة العقول على ما سواها في مجال الاستدلال، ولقلة اشتغالهم بالحديث وعلومه، وسأذكر أهم أقوالهم في ذلك، ثم أورد من تأثر بهم من أصحاب الاتجاه المنحرف:

أولاً: أقوال أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد:

إن عدم حجية خبر الواحد عند علماء الاتجاه العقلي لا تعني أنهم لا يحتجون بالحديث الذي نقله الواحد مطلقاً؛ بل إنهم يأخذون منه بما يرونه مناسباً لعقولهم،

---

(١) خبر الواحد: «هو الحديث الذي لم ينته بنفسه إلى التواتر سواء كثر رواته أو قلوا، أو من له طرق محصورة سواء بالواحد، أو الاثنين، أو بما فوق الاثنين». انظر: معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: ١٤.

وميولهم الفكرية سواء في أحاديث العقيدة، أو في أحاديث الأحكام، وأن الأصل في قولهم هذا؛ هو قول المعتزلة[١]:

١- قال الشيخ محمد عبده: (أما أخبار الآحاد فإنه يجب الإيمان بما ورد فيها على من بلغته، وصدّق بصحة روايتها، أما من لم يبلغه الخبر، أو بلغه وعرضت له شبهة في صحته، وهو ليس من المتواتر، فلا يطعن في إيمانه عدم التصديق به، والأصل في جميع ذلك أن من أنكر شيئاً وهو يعلم أن النبي ﷺ حّدث به، أو قرره، فقد طعن في صدق الرسالة، وكذب بها، ويلحق به من أهمل في العلم بما تواتر وعُلم أنه من الدين بالضرورة، وهو ما في الكتاب؛ وقليل من السنة في العمل)[٢].

٢- قال الشيخ محمود شلتوت: (فإن الله تعالى لم يكلف عباده عقيدة من العقائد عن طريق من شأنه ألا يفيد إلا الظن، ومن هنا يتأكد أن ما قررناه من أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات؛ قول مجمع عليه، وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء. . . وقد كانت هذه الفروق ـ أي الفروق بين القرآن والسنة ـ أصلاً في انحصار مصدر العقيدة في القرآن، وعدم الاعتماد في ثبوتها على السنة)[٣].

٣- قال د. أحمد حجازي السقا: (فما يُؤمِنكم أن خبر الواحد ليس من يهود مثل ابن سبأ؟ ورواية الواحد أوجدت في الدين أموراً سيئة منها: أولاً: التعارض في المعنى، والتعارض يحير الناس في معرفة الحق. . . ثانياً: أوجدت أحاديث الآحاد تفرقة واختلافاً في صفوف المسلمين، إذ هي التي فرقتهم إلى

---

(١) انظر للتوسع: حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٤٩- ١٥٥، المعتزلة بين الفكر والعمل: بحث موقف المعتزلة من السنة: د. أبو لبابة حسين: ١١٣- ١١٦، الأضواء السنية على مذاهب رافضي الاحتجاج بالسنة النبوية: د. عمر سليمان الأشقر: ٤١، ٥٧، مكتبة المنار: الزرقاء بالأردن.

(٢) رسالة التوحيد: الشيخ محمد عبده: ١٧٧- ١٧٨، دار الشروق: القاهرة، وانظر للتوسع: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د. محمد عمارة: ٥/ ٥٤٤.

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة: الشيخ محمود شلتوت: ٦٠- ٦١، ٤٩٩.

سنيين وشيعة يضرب بعضهم رقاب بعض، وهي التي فرقت السنيين إلى السلف والخلف... فيا أيها السلفيون: هذه نتائج أحاديث الآحاد في المجتمعات الإسلامية، وقد أمرنا الله تعالى بأن نحتاط للدين، وبأن نكون أمة واحدة، وبأن نسمع وبأن نعقل، فابتعدوا عن أحاديث الآحاد)[١].

٤- قال أ. جمال البنا: (ومن هنا يتأكد أن ما قررناه من أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة، ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات، قول مجمع عليه؛ وثابت بحكم الضرورة العقلية التي لا مجال للخلاف فيها عند العقلاء)[٢].

وهذا ما قال به الشيخ محمد رشيد رضا[٣]، وأ. محمد فريد وجدي[٤]، والشيخ عبد الوهاب النجار[٥]، وأ. عبد المتعال الجبري[٦]، وسيد قطب[٧]، والشيخ محمد الغزالي[٨]، ود. محمد عمارة[٩]، والشيخ محمد أمين شيخو[١٠]، والشيخ عبد الله العلايلي[١١].

---

(١) دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي: د. أحمد حجازي السقا: ٤٦- ٤٨، المكتبة الثقافية: بيروت.

(٢) الأصلان العظيمان الكتاب والسنة: رؤية جديدة: أ. جمال البنا: ٣٠٣، مطبعة حسان: القاهرة.

(٣) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ١/ ١١٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة.

(٤) خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته: القاضي برهون: ١/ ٤٣٧- ٤٤٠، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٥) قصص الأنبياء: الشيخ عبد الوهاب النجار: صفحة س من المقدمة، ٢٨٧.

(٦) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٢٩.

(٧) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦/ ٤٠٠٨، دار الشروق: القاهرة.

(٨) تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل: الشيخ محمد الغزالي: ١٧٠- ١٧٤، دار الشروق: القاهرة.

(٩) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان بن صالح الخراشي: ٥٦٦، دار الجواب: الرياض.

(١٠) فضيلة العلامة العربي الكبير محمد أمين شيخو يرد على معارضيه: أ. عبد القادر يحيى الديراني: ١٤٩- ١٥٥، دار نور البشير: دمشق، أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ٩٧- ٩٨.

(١١) الشيخ عبد الله العلايلي والتجديد في الفكر المعاصر: د. فايز ترحيني: ٣١٩.

ثانياً: أقوال أصحاب الاتجاه المنحرف في عدم حجية خبر الواحد:

١- قال محمود أبو رية: (العبرة في العقائد بالدلالة القطعية، وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الإسلام؛ ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياب في بعضها، وكذلك أصول العبادات كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أخبار الآحاد، وما ثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد؛ ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الإسلام، وإن كان صحيحاً في نفسه)[١].

٢- قال د.أحمد صبحي منصور: (وإذا نحّينا الحديث المتواتر جانباً، وجدنا أمامنا غير القرآن، تلك الألوف المؤلفة من الأحاديث التي يقال عنها أحاديث آحاد؛ والتي تفيد الظن ولا تفيد العلم واليقين، وبالتالي فليست محلاً للاعتماد عليها في أمور الغيبيات والسمعيات)[٢].

٣- قال د.إسماعيل منصور[٣]: (وجوب عدم الاعتداد بحديث الآحاد بالكلية... وثبت لدينا كذلك أن الأكثرية الغالبة من الأحاديث قد رويت بطريق الآحاد التي هي ظن فوق ظن، وأنها بذلك قد دخلها الزيف والخرافة والوهم بداهة؛ بحيث صار الأصل فيها هو الكذب والاستثناء هو الصدق)[٤].

---

(١) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣٧٩.

(٢) عذاب القبر والثعبان الأقرع: د.أحمد صبحي منصور: ١٠، طيبة للدراسات والنشر: القاهرة.

(٣) هو متخرج من كلية الطب البيطري بجامعة القاهرة عام ١٩٦٧م، وحصل منها على دكتوراه في الطب الشرعي والسموم عام ١٩٧٣م، وتخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصل منها على دكتوراه ثانية في الفلسفة الإسلامية، وتخرج من كلية الحقوق بجامعة القاهرة، وهو يحضر فيها دكتوراه ثالثة، ومن مؤلفاته: عقيدة الإيمان بالبعث، تذكير الأصحاب بتحريم النقاب، شفاء الصدر بنفي عذاب القبر. انظر: تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ٦٧٧.

(٤) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ٣٦٠، ٦٥٢.

٤- قال عبد الجواد ياسين[١]: (أما الضرب الثاني من أفعاله وأقواله ﷺ، مما لم يصل إلى الناس بطريق التواتر المستفيض، فلا يستطيع عاقل أن يدخله في دائرة الوحي الثابت ثبوتاً لا شك فيه، ومن ثم فهو ليس ضرورياً لقيام الدين)[٢].

وهذا ما قال به أحمد أمين[٣]، والسيد صالح أبو بكر[٤]، وسامر إسلامبولي[٥]، وجواد موسى محمد عفانة[٦]، ومحمد منير إدلبي[٧].

ويظهر لنا مما سبق أن هناك عدداً كبيراً من الباحثين المعاصرين قد تبنوا الرأي القائل بإفادة أحاديث الآحاد للظن فقط، وعدم جواز الاعتماد عليها في باب الاعتقاد أو باب الأحكام، وهم ينتمون إلى أكثر من اتجاه فكري، ولاسيما الاتجاهين العقلي والمنحرف، وهذا الرأي هو الذي قاد هؤلاء لتأويل أو رد أحاديث كثيرة صحيحة لا مجال لضعفها أو الشك فيها سواء في أحاديث العقيدة، أو أحاديث الأحكام، أو غير ذلك.

المطلب الثاني: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد:

استدل علماء هذا الاتجاه على قولهم بعدم حجية خبر الواحد بالقرآن الكريم والسنة النبوية وعمل الصحابة ﷺ وذلك بما يلي:

---

(١) هو قاضي مصري سابق، من مواليد عام ١٩٥٤م، تخرج من كلية الحقوق في جامعة القاهرة سنة ١٩٧٦م، وتدرج في سلك النيابة العامة والقضاء منذ تخرجه، له مؤلفات في الفكر السياسي والفقه الدستوري آخرها: تطور الفكر السياسي في مصر خلال القرن التاسع عشر. انظر: غلاف كتاب السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين.

(٢) السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين: ٢٤٦، المركز الثقافي العربي: بيروت.

(٣) فجر الإسلام: أحمد أمين: ٣٤٦، الهيئة المصرية العامة للكتاب: القاهرة، السنة المطهرة بين أصول الأئمة وشبهات صاحب فجر الإسلام وضحاه: د. سيد أحمد رمضان المسير: ٤٥-٤٦، المؤسسة العربية الحديثة: القاهرة.

(٤) أحاديث الإسراء والمعراج: دراسة توثيقية: د. رفعت فوزي عبد المطلب: ١٠٧.

(٥) الآحاد، النسخ، الإجماع: دراسة نقدية لمفاهيم أصولية: سامر إسلامبولي: ٤٠- ٤١، دار الأوائل: دمشق.

(٦) تحذير الأمة من إساءة فهم السنة: جواد موسى عفانة: ٢٦٧، طبع جمعية عمال المطابع التعاونية: عمان.

(٧) قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٠٧- ١٠٨.

أولاً: القرآن الكريم:

١- قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسرَاء: ٣٦].

٢- قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٦٩].

٣- قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزّخرُف: ٨٦].

قالوا: العمل بخبر الواحد اقتفاء لما ليس لنا به علم، وشهادة وقول بما لا نعلم؛ لأن العمل به موقوف على الظن.

٤- قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النّجم: ٢٨].

٥- قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [يُونس: ٣٦].

قالوا: قد ذم الله من اتبع الظن، وبيّن أنه لا غناء له في الحق، فكان على عمومه، والآيات دالة على انعدام قيمة الظن كلية في مجال تحقيق العلم، فوجب عدم الاعتداد به في ذلك على الإطلاق، وتلك نتيجة مسلّمة، وبهذه الآيات استدل بها من أنكر حجية خبر الواحد قديماً(١)، وحديثاً(٢).

٦- قول الله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعَام: ١١٦].

٧- قول الله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجَاثِيَة: ٢٤].

٨- قول الله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ [النِّسَاء: ١٥٧].

٩- قول الله تعالى: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعَام: ١٤٨].

---

(١) المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي البصري المعتزلي: ٢/ ٦٠٤- ٦٠٥، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية: دمشق، المحصول في علم أصول الفقه: الرازي: ٢/ ١/ ٥٦٠، ٢/ ٢/ ١٤٤- ١٤٥، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض، الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أبي علي الآمدي: ٢/ ٣٥، مؤسسة الحلبي: القاهرة.

(٢) السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين: ٢٨٥، تبصير الأمة بحقيقة السنة: د.إسماعيل منصور: ١/ ٣٦١.

فالملاحظ في هذه الآيات: أن اتباع الظن منهي عنه، وهذا الظن المنهي عن اتباعه قطعاً ليس هو بمعنى الشك؛ لأن الشك بداهة لا يعوّل عليه ولا يعتبر، ولا يكيف الإنسان سلوكه بحسبه، فالظن المنهي عن اتباعه في هذه الآيات: هو الظن الغالب، وكان هذا السلوك المنبثق من الظن الغالب مخالف لما عليه الواقع، وكل ذلك إنما هو من جراء اتباع الظن الغالب في الحكم على وجود الشيء[1].

ثانياً: السنة النبوية:

ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي؛ إما الظهر وإما العصر، فسلّم في ركعتين، ثم أتى جِذْعاً في قبلة المسجد فاستند إليه مُغْضَباً، وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يتكلما، وخرج سَرَعَان الناس، قُصِرت الصلاة، فقام ذو اليدين فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً، فقال: «ما يقول ذو اليدين؟ قالوا: صدق لم تصل إلا ركعتين، فصلى ركعتين وسلّم، ثم كبّر ثم سجد، ثم كبّر فرفع، ثم كبّر وسجد، ثم كبر ورفع، وسلّم»[2].

وقد توقف النبي ﷺ في خبر قصة ذي اليدين، حتى تابعه عليه غيره.

ثالثا: عمل الصحابة ﷺ:

١- ما رواه قبيصة بن ذؤيب ﷺ أنه قال: «جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق ﷺ تسأله ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله تعالى شيء، وما علمت لك في سنة نبي الله ﷺ شيئاً؛ فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس، فقال أبو بكر: هل

(١) انظر للتوسع: الآحاد، النسخ، الإجماع: دراسة نقدية لمفاهيم أصولية: سامر إسلامبولي: ٢١- ٢٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٥٠): ٤/ ٣٥٤، ورواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، (الحديث: ٥٧٣)، ١/ ٤٠٣، واللفظ له.

معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة، فأنفذه لها أبو بكر، ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب ﷺ تسأله ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله تعالى شيء، وما كان القضاء الذي قُضِيَ به إلا لغيرك، وما أنا بزائد في الفرائض، ولكن هو ذلك السدس، فإن اجتمعتما فيه فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها»[(١)].

فقد توقف أبو بكر ﷺ في خبر المغيرة بن شعبة ﷺ في ميراث الجدة حتى تابعه محمد بن مسلمة ﷺ.

٢- ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: «كنا في مجلس عند أبيّ بن كعب، فأتى أبو موسى الأشعري مُغْضَباً حتى وقف، فقال: أنشدكم الله هل سمع أحد منكم رسول الله ﷺ يقول: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع، قال أبيّ: وما ذاك؟ قال: أستأذنت على عمر بن الخطاب أمس ثلاث مرات؛ فلم يؤذن لي فرجعت، ثم جئته اليوم فدخلت عليه، فأخبرته أني جئت أمس فسلمت ثلاثاً ثم انصرفت، قال: قد سمعناك ونحن حينئذ على شُغْل، فلو ما استأذنت حتى يؤذن لك؟ قال: استأذنت كما سمعت رسول الله ﷺ، قال:

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: الفرائض، باب: في الجدة، (الحديث: ٢٨٩٤): ٣/ ٣١٦- ٣١٧، واللفظ له، ورواه الترمذي في كتاب: الفرائض، باب: ما جاء في ميراث الجدة، (الحديث: ٢١٠١): ٣/ ٦٠٥- ٦٠٦، وقال: «وهذا حديث حسن صحيح، وهو أصح من حديث ابن عيينة»، ورواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب: الفرائض، باب: ذكر اسم هذا الرجل الذي أدخل الزهري بينه وبين قبيصة بن ذؤيب، (الحديث: ٦٣٤٦): ٤/ ٧٥، ورواه ابن ماجه في كتاب: الفرائض، باب: ميراث الجدة، (الحديث: ٢٧٢٤): ٤/ ٢٨٦- ٢٨٧، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٧٩٨٠): ٢٩/ ٤٩٩- ٥٠٠، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: الفرائض، (الحديث: ٦٠٣١): ١٣/ ٣٩٠- ٣٩١، وكلهم رووه من طريق ابن شهاب الزهري، عن عثمان بن إسحاق بن خرشة، قبيصة بن ذؤيب ﷺ، والحديث إسناده صحيح؛ لأن رجاله كلهم ثقات، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب: الفرائض، (الحديث: ٧٩٧٨): ٤/ ٣٣٨، من طريق الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب ﷺ، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والرجل الذي بين الزهري وقبيصة قد تعين في الروايات السابقة.

فو الله لأوجعن ظهرك وبطنك، أو لتأتيني بمن يشهد لك على هذا، فقال أبيّ بن كعب: فو الله لا يقوم معك إلا أحدثنا سناً، قم يا أبا سعيد، فقمت حتى أتيت عمر، فقلت: قد سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا»[(١)].

وقد توقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خبر أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في الاستئذان حتى تابعه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه.

وبهذه الأحاديث استدل من أنكر حجية خبر الواحد قديماً[(٢)]، وحديثاً[(٣)].

(١) رواه البخاري في كتاب: الاستئذان، باب: التسليم والاستئذان ثلاثاً، (الحديث: ٦٢٤٥): ٤/ ١٣٩، ورواه مسلم في كتاب: الآداب، باب: الاستئذان، (الحديث: ٢١٥٣): ٣/ ١٦٩٤- ١٦٩٥.

(٢) المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي البصري المعتزلي: ٢/ ٥٩٣، ٦٢٣، تشنيف المسامع بجمع الجوامع: الزركشي: ٢/ ٩٦٨، شرح الكوكب المنير: ابن النجار: ٢/ ٣٦٢.

(٣) نحو فقه جديد: أ. جمال البنا: ٢/ ١١٢- ١١٣، دار الفكر الإسلامي: القاهرة، أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣١، ٢٥٩، فجر الإسلام: أحمد أمين: ٣٣٣، دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي: د. أحمد حجازي السقا: ١٤٢.

obeikandl.com

المبحث الثاني

أدلة العلماء في حجية خبر الواحد والرد على أدلة الاتجاه العقلي

إن هذه الأدلة متنوعة وغزيرة؛ لأنها تثبت مدى اهتمام السلف الصالح بهذا الموضوع، وتضافر جهودهم لخدمة السنة وتدعيمها؛ ودرء المفاسد عنها؛ ورد العدوان عليها، وذلك من خلال الرد على من أنكر حجية خبر الواحد؛ وادعى أنه لابد من العدد في رواية الحديث الشريف.

المطلب الأول: أدلة العلماء في حجية خبر الواحد:

استدل علماء المسلمين على حجية خبر الواحد من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعمل الصحابة ﷺ، والمعقول، وهي كما يلي:

أولاً: القرآن الكريم:

١- قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

استدل بهذه الآية الإمام البخاري على وجوب العمل بخبر الواحد[(١)]؛ ويشرح ابن حجر العسقلاني ما ذهب إليه الإمام البخاري من الاستدلال بهذه الآية، فيقول: «وهذا مصير منه إلى أن لفظ طائفة يتناول الواحد فما فوقه، ولا يختص بعدد معيّن، وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره كالنخعي ومجاهد»[(٢)].

---

(١) انظر: صحيح البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، ٤/ ٣٥٣.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ٢٤٧.

والملاحظ أن أقل عدد يطلق على الفرقة ثلاثة، فتصبح الطائفة تدل على الواحد فأكثر، ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجرَات: ٩]، فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية، ولا يعترض على هذا التفسير بقوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النُّور: ٢]؛ لأن السياق في هذه الآية يشعر بأن المراد أكثر من واحد؛ إذ المطلوب في حالة حد الزنى حضور عدد من المؤمنين قصد العظة والزجر، كما أن أحداً لم يقل إن الطائفة لا تكون إلا واحداً[(١)].

٢ـ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المَائدة: ٦٧].

فقد احتج بعض الأئمة بهذه الآية بأن الرسول ﷺ مبعوث للناس كافة، وواجب عليه ـ بفعل الأمر: «بلّغ» ـ أن يوصل الدعوة إلى جميع الناس، فلو كان خبر الواحد غير مقبول لتعذّر إبلاغ الشريعة؛ لأن إرسال عدد التواتر إلى الناس مما يتعذر تحقيقه، فيبقى خبر الآحاد وسيلة ناجعة وفعّالة لإيصال الشريعة إلى الآفاق، وسكّان الأصقاع، وهو استدلال جيد ينضم إلى ما احتج به الشافعي ثم البخاري[(٢)].

٣ـ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحُجرَات: ٦].

في هذه الآية يؤكد القرآن على الاحتجاج بخبر الواحد مع التثبت، فقد رتّب النبي ﷺ على خبر الآحاد ما يرتب على ما يفيد العلم؛ فقد قبِل خبر الوليد بن عقبة في قصة بني المصطلق، وإرادته ﷺ غزوهم استناداً إلى خبره[(٣)].

وسبب نزول الآية هو: ما رواه الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه أنه قال: «قدِمت على رسول الله ﷺ، فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه، وأقررت به،

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ٢٤٧.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٣/ ٢٤٨.

(٣) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار: محمد بن إسماعيل الصنعاني: ١/ ٢٧، دار الفكر: بيروت.

فدعاني إلى الزكاة، فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام، وأداء الزكاة، فمن استجاب لي، جمعت زكاته، فيرسل إليّ رسول الله ﷺ رسولاً لإبّان[1] كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له، وبلغ الإبّان الذي أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه، احتبس عليه الرسول، ولم يأته، فظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله عز وجل ورسوله، فدعا بسروات[2] قومه، فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقّت لي وقتاً يرسل إليّ رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة، وليس من رسول الله ﷺ الخُلْف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة كانت، فانطلقوا فنأتي رسول الله ﷺ، وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فَرِق[3] فرجع، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الحارث منعني الزكاة، وأراد قتلي، فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه؛ إذ استقبل البعث، وفصل عن المدينة، لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم، قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولِمَ؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ كان بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة، وأردت قتله! قال: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق، ما رأيته بتة، ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة، وأردت قتل رسولي؟ قال: لا والذي بعثك بالحق، ما رأيته ولا أتاني، وما أقبلت إلا حين احتبس عليّ رسول رسول الله ﷺ، خشيت أن تكون كانت سخطة من الله عز وجل ورسوله، قال: فنزلت»[4].

٤ـ قول الله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

---

(١) أي وقت ظهوره وأوانه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢٥.

(٢) أي أشرافهم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٤٢٢.

(٣) أي خاف وفزع. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٦٩٠.

(٤) رواه أحمد في مسنده، (الحديث: ١٨٤٥٩): ٣٠/ ٤٠٣- ٤٠٥، من طريق محمد بن سابق، عن عيسى بن دينار، عن أبيه وهو دينار الكوفي، عن الحارث بن ضرار الخزاعي، وإسناده حسن؛ لأن محمد بن سابق صدوق. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ٤٧٩.

أمر الله تعالى في هذه الآية بسؤال أهل الذكر، ولم يفرق بين المجتهد وغيره، وسؤال المجتهد لغيره منحصر في طلب الأخبار بما سمع دون الفتوى، ولو لم يكن القبول واجباً لما كان السؤال واجباً(١).

٥- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النِّسَاء: ١٣٥].

أمر المؤمن بالقيام بالقسط والشهادة لله، ومن أخبر عن الرسول ﷺ بما سمعه فقد قام بالقسط وشهد لله، وكان ذلك واجباً عليه بالأمر، وإنما يكون واجباً لو كان القبول واجباً، وإلا كان وجوب الشهادة كعدمها، وهو ممتنع(٢).

٦- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٩].

أوعد الله في الآية على كتمان الهدى؛ فيجب على من سمع من النبي ﷺ إظهاره، فلو لم يجب علينا قبوله لكان الإظهار كعدمه، والآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس، فإنها معني بها كل كاتم علماً فرض الله تعالى بيانه للناس(٣)، والآية تدل على وجوب العمل بخبر الآحاد(٤).

٧- إن الله تعالى أرسل رسله مبشرين ومنذرين آحاداً، كما في كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [نُوح: ١]، وغيرها من الآيات(٥).

---

(١) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للبزدوي: عبد العزيز بن أحمد البخاري: ٢/ ٣٧٢.

(٢) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام للبزدوي: عبد العزيز بن أحمد البخاري: ٢/ ٣٧٢.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري: ٢/ ٧٣١.

(٤) انظر للتوسع: خبر الواحد وحجيته: د. أحمد بن محمود الشنقيطي: ٢٢١- ٢٣٤، الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة.

(٥) انظر: حديث الآحاد ومكانته في السنة: د. محمد فؤاد شاكر: ٤٧، مكتبة الحجاز: القاهرة.

٨ـ أن الرسل عليهم السلام كانوا يقبلون خبر الواحد، ويقطعون بمضمونه؛ فقبله موسى عليه السلام من الذي جاء من أقصى المدينة يسعى قائلاً له؛ كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القَصَص: ٢٠]، فجزم بخبره، وخرج هارباً، وقبل خبر بنت مدين لما قالت له، كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القَصَص: ٢٥]، وقبل خبر أبيها في قوله: هذه ابنتي، وتزوجها بخبره(١).

٩ـ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ﴾ [الأحزَاب: ٥٣].

يجوز الاكتفاء بإذن الشخص الواحد ودعوته؛ لعدم تعيين العدد في الآية، وهذا متفق على العمل به عند الجمهور، حتى اكتفوا فيه بخبر من لم تثبت عدالته لقيام القرينة فيه بالصدق(٢).

ومن تتبع الآيات وجد فيها كثيراً من هذه الأدلة، وإذا كان في بعضها احتمالات فإنها بمجموعها تقوي دلالتها، كما أن خبر الواحد دلالته عندهم ظنية، فبعد توافق الآحاد تبلغ التواتر فتكون دلالتها قطعية(٣).

والأدلة من القرآن كثيرة على وجوب العمل بخبر الواحد، ولعل ما ذكرته فيه كفاية(٤).

ثانياً: السنة النبوية:

وهو أمر أشهر من أن يخفى لكثرة ما تواردت عليه الأحاديث في الوقائع التي لا تحصى، كلها تصرح بحجية خبر الواحد، وسأقتصر على أهم هذه الأحاديث الشريفة:

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: ١/ ١٣٨، دار الآفاق الجديدة: بيروت.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٣/ ٢٥٣.

(٣) أخبار الآحاد في الحديث النبوي: حجيتها، مفادها، العمل بموجبها: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين: ١٥٥- ١٥٦، دار عالم الفوائد: مكة المكرمة.

(٤) انظر للتوسع: الرسالة: محمد بن إدريس الشافعي: ٤٣٥- ٤٣٨، مكتبة دار التراث: القاهرة.

١- ما رواه زيد بن ثابت ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نضر الله امرأ سمع منا حديثاً، فحفظه حتى يبلغه، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**»(١).

فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأً يؤديها، والامرؤ واحد، دل على أنه لا يأمر أن يؤدي عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه؛ لأنه إنما يؤدي عنه حلالاً يؤتى، وحراماً يجتنب، وحداً يقام، ومالاً يؤخذ ويعطى، ونصيحة في دين ودنيا(٢).

فالرسول ﷺ عوّل كل التعويل على الفرد في السماع، وفي التبليغ، فقال: «امرأ» ولم يقل ناساً، فلو كان تبليغ الفرد مردوداً غير معمول به لم يقل الرسول ﷺ امرأ، ولو كان تبليغ الفرد مردوداً غير معمول به لم يكن الرسول ﷺ يأمر به؛ بل يحض عليه بالترغيب والتبشير(٣).

---

(١) رواه أبو داود في كتاب: العلم، باب: فضل نشر العلم، (الحديث: ٣٦٦٠): ٤/ ٦٨- ٦٩، واللفظ له، ورواه الترمذي في كتاب: العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، (الحديث: ٢٦٥٦)، ٤/ ٣٩٣- ٣٩٤، وقال أبو عيسى: «وفي الباب عن عبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وجبير بن مطعم، وأبي الدرداء، وأنس، وحديث زيد بن ثابت حديث حسن»، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢١٥٩٠): ٣٥/ ٤٦٧، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: العلم، (الحديث: ٦٧): ١/ ٢٧٠، كلهم رووه من طريق عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهما، عن زيد بن ثابت ﷺ، وإسناده صحيح؛ لأن رواته كلهم ثقات، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب: العلم، (الحديث: ٢٩٤): ١/ ٨٦- ٨٧، من طريق الزهري، عن محمد ابن جبير بن مطعم، عن أبيه جبير بن مطعم رضي الله عنهما، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ورواه ابن ماجه في المقدمة، باب: من بلّغ علماً، (الحديث: ٢٣٠): ١/ ٢١٩، من طريق ليث بن أبي سليم، عن يحيى بن عباد أبي هبيرة الأنصاري، عن أبيه، عن زيد بن ثابت ﷺ، وإسناده ضعيف؛ لأن الليث بن أبي سليم صدوق اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك. تقريب التهذيب: ابن حجر: ٤٦٤.

(٢) الرسالة: الشافعي: ٤٠١- ٤٠٣.

(٣) أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح: د. أبو لبابة حسين: ٧٨، دار الغرب الإسلامي: بيروت.

٢- ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «**ليبلغ العلم الشاهد الغائب**»[١].

هذا الحديث يدل صراحة على تكليف الواحد بالتبليغ؛ لأن خبره حجة، وإلا لما كلف بالتبليغ[٢]، ثم جعل المبلَّغ مطالباً بقبول حديث الواحد، وبتدبره واستخلاص ما فيه من العلم والحكمة، واستنباط ما يحتويه من معان وأحكام[٣].

٣- ما رواه مالك بن الحويرث رضي الله عنه أنه قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رقيقاً، فلما ظن أنّا قد اشتهينا أهلنا؛ أو قد اشتقنا، سألَنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: «**ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلّموهم ومُروهم، ـ وذكر أشياء أحفظها ولا أحفظها ـ، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم؛ وليؤمكم أكبركم**»[٤].

فقد أمر النبي ﷺ كل واحد من هؤلاء الشبيبة أن يعلم كل واحد منهم أهله، فلو لم يكن خبر الآحاد تقوم به الحجة لم يكن لهذا الأمر معنى، وهذا تكليف من رسول الله ﷺ للوافدين عليه أن يبلغوا من وراءهم[٥].

٤- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «**بينا الناس بقباء في صلاة الصبح، إذ جاءهم آتٍ، فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلة قرآن،**

---

(١) رواه البخاري في كتاب: العلم، باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ١/ ٥٤، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، (الحديث: ١٣٥٤): ٢/ ٩٨٧- ٩٨٨.

(٢) حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ١٩، دار الفرقان: عمان.

(٣) أصول علم الحديث بين المنهج والمصطلح: د. أبو لبابة حسين: ٧٩.

(٤) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٤٦): ٤/ ٣٥٣، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: من أحق بالإمامة، (الحديث: ٦٧٤): ١/ ٤٦٥- ٤٦٦.

(٥) الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام: محمد ناصر الدين الألباني: ٥٤- ٥٥.

وقد أُمِرَ أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة»[(١)].

وهذا من أوضح الأدلة على ما كان عليه الصحابة ﷺ في زمن النبي ﷺ من الاحتجاج بخبر الواحد، وإلا فلم اكتفى ﷺ بإرسال واحد إليهم لولا أن الخبر من الواحد حجة؟ وكيف ترك المسلمون ما كانوا على علم قاطع به من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلى ما أخبرهم به آت؟ ولو لم يكن خبر الواحد حجة في الدين لراجعوا النبي ﷺ، أو لراجعهم النبي ﷺ فيما أحدثوا في أمر القبلة، ولقال لهم: كيف تركتم أمري لأمر لم تقم عليكم به حجة من سماعكم مني، أو خبر رواه جمع، ولما لم يكن شيء من ذلك قد حدث، فهذا دليل على حجية خبر الواحد لا مراء فيه، وهذا ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ[(٢)].

٥- ما رواه أنس بن مالك ﷺ قال: «**كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري، وأبا عبيدة بن الجراح، وأبيّ بن كعب، شراباً من فضيخ**[(٣)]**، وهو تمر، فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: يا أنس، قم إلى هذه الجرار فاكسرها، قال أنس: فقمت إلى مهراس**[(٤)] **لنا، فضربتها بأسفله حتى انكسرت**»[(٥)].

وهذا دليل آخر على حجية خبر الواحد، حيث لم يقل أحد من الصحابة الذين ذكروا في الحديث: نحن على تحليلها حتى نلقى رسول الله ﷺ مع قربه منا، أو

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في القبلة، (الحديث: ٤٠٣): ١/ ١٤٩، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (الحديث: ٥٢٦): ١/ ٣٧٥.

(٢) الرسالة: الشافعي: ٤٠٦- ٤٠٨.

(٣) هو خمر يصنع من البسر المفضوخ أي المشدوخ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٦٩٧.

(٤) هو صخرة منقورة تسع كثيراً من الماء، وقد يعمل منها حياض للماء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٩٩٢.

(٥) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٥٣): ٤/ ٣٥٤، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: تحريم الخمر، (الحديث: ١٩٨٠): ٣/ ١٥٧٢.

يأتينا خبر عامة، وذلك أنهم لا يهرقون حلالاً فإهراقه سرف وليسوا من أهله، والحال في أنهم لا يدعون إخبار رسول الله ﷺ ما فعلوا، ولا يدع ـ لو كان ما قبلوا من خبر الواحد ليس لهم ـ أن ينهاهم عن قبوله[١].

٦ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**وأما أنت يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ فاغد على امرأة هذا؛ فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها أنيس؛ فاعترفت فرجمها**»[٢].

في هذا الحديث إثبات خبر الواحد، وإيجاب العمل به في الحدود، وإذا وجب ذلك في الحدود؛ فسائر الأحكام أحرى بذلك[٣].

٧ـ اعتماده ﷺ على الواحد من الرسل أو المبعوثين في ميدان الدعوة والتبليغ، والأمثلة على ذلك كثيرة[٤]، منها:

أ ـ ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «**بعث النبي ﷺ دحية الكلبي بكتابه إلى عظيم بُصرى أن يدفعه إلى قيصر**»[٥].

ب ـ ما رواه أنس رضي الله عنه قال: «أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلاً يعلّمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «**هذا أمين هذه الأمة**»[٦].

---

(١) الرسالة: الشافعي: ٤٠٩- ٤١٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٦٠): ٤/ ٣٥٥، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنى، (الحديث: ١٦٩٧- ١٦٩٨): ٣/ ١٣٢٤- ١٣٢٥.

(٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الأندلسي: ١٤/ ٦٢، دار الفاروق الحديثة: القاهرة، الرسالة: الشافعي: ٤١٠.

(٤) انظر للتوسع: الرسالة: الشافعي: ٤١١- ٤١٩، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٣/ ٢٥٤- ٢٥٥، الطبقات الكبير: ابن سعد: ١/ ٢٢٢- ٢٤٥.

(٥) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحد، ٤/ ٣٥٦.

(٦) رواه البخاري في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في =

وهذه الأمور تواتر منه ﷺ أنه كان يبعث الآحاد إلى النواحي لتبليغ الأحكام، مع العلم بتكليف المبعوث إليهم العمل بذلك[١].

ثالثاً: عمل الصحابة ﷺ وإجماعهم:

لقد أجمع الصحابة ﷺ على قبول خبر الواحد وحجيته، وقد اشتهر ذلك منهم في وقائع كثيرة[٢]، وسأقتصر على بعض هذه الوقائع:

١- فقد سأل عمر بن الخطاب ﷺ الصحابة ﷺ في أمر المجوس، فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم، فقال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»[٣].

فأخذ بذلك عمر ﷺ، وكان يأخذ منهم الجزية ويقرهم على دينهم.

٢- أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه قال: فحمد**

= الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، (الحديث: ٧٢٥٤): ٤/ ٣٥٤، ورواه مسلم في كتاب: فضائل الصحابة ﷺ، باب: فضائل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ، (الحديث: ٥٤): ٤/ ١٨٨١، واللفظ له.

(١) شرح الكوكب المنير: ابن النجار الحنبلي: ٢/ ٣٧٥.

(٢) انظر للتوسع: الرسالة: الشافعي: ٤٢٢- ٤٣١، فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٣/ ٢٤٧- ٢٤٨، الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ٢٦- ٣١، دار الكتب العلمية: بيروت، المستصفى من علم الأصول: محمد بن محمد الغزالي الطوسي: ١/ ٢٧٦- ٢٨٠، مؤسسة الرسالة: بيروت، إحكام الفصول في أحكام الأصول: أبو الوليد الباجي: ١/ ٣٤٠- ٣٤٤، دار الغرب الإسلامي: بيروت، البرهان في أصول الفقه: الجويني: ١/ ٦٠١، ٦٠٨، طبع بالدوحة: قطر، حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٣٥- ٥٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الجزية والموادعة، باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة الحرب، (الحديث: ٣١٥٧): ٢/ ٤٠٦، ورواه مالك في الموطأ في كتاب: الزكاة، باب: ما جاء في جزية أهل الكتاب والمجوس، (الحديث: ٧٤٢): ١/ ٢٨٩، واللفظ له، مؤسسة الرسالة: بيروت.

الله عمر ثم انصرف»، قال ابن شهاب: وأخبرني سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ أن عمر ﷺ إنما انصرف بالناس من حديث عبد الرحمن بن عوف[١].

٣- حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان يكري مزارعه على عهد رسول الله ﷺ، وفي إمارة أبي بكر، وعمر، وعثمان ﷺ وصدراً من خلافة معاوية ﷺ، حتى بلغه في آخر خلافة معاوية ﷺ، أن رافع ابن خديج ﷺ يحدث فيها بنهيٍ عن النبي ﷺ، فدخل عليه فسأله فقال: **كان رسول الله ﷺ ينهى عن كراء المزارع، فتركها ابن عمر ﷺ بعد»**[٢].

٤- قال زيد بن ثابت ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «تفتي أن تصدر الحائض قبل أن يكون آخر عهدها بالبيت؟، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: إما لا، سل فلانة الأنصارية، هل أمرها بذلك رسول الله ﷺ ؟، قال: فرجع زيد بن ثابت إلى ابن عباس يضحك، وهو يقول: ما أراك إلا قد صدقت»[٣].

٥- رجوع ابن عباس رضي الله عنهما إلى خبر أبي سعيد الخدري ﷺ في تحريم ربا الفضل، فقد روى أبو الصهباء قال: «سمعته يأمر بالصرف ـ يعني ابن عباس رضي الله عنهما ـ ويحدّث ذلك عنه، ثم بلغني أنه رجع عن ذلك، فلقيته بمكة، فقلت: إنه بلغني أنك رجعت، قال: نعم، إنما كان ذلك رأياً مني، وهذا أبو سعيد يحدّث عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الصرف»[٤].

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الطب، باب: ما يذكر في الطاعون، (الحديث: ٥٧٢٩- ٥٧٣٠): ٤/ ٤١- ٤٢، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها، (الحديث: ٢٢١٩): ٤/ ١٧٤٠- ١٧٤١.

(٢) رواه مسلم في كتاب: البيوع، باب: كراء الأرض، (الحديث: ١٠٩): ٣/ ١١٨٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الحج، باب: إذا حاضت المرأة بعد ما أفاضت، (الحديث: ١٧٥٨- ١٧٥٩): ١/ ٥٣٣، ورواه مسلم في كتاب: الحج، باب: وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض، (الحديث: ٣٨١): ٢/ ٩٦٣- ٩٦٤، واللفظ له.

(٤) رواه البخاري بمعناه في كتاب: البيوع، باب: بيع الدينار بالدينار نساء، (الحديث: ٢١٧٨- ٢١٧٩): ٢/ ١٠٨، ورواه مسلم بمعناه في كتاب: المساقاة، باب: بيع الطعام مثلاً بمثل، (الحديث: ١٠٠- ١٠١/ ١٥٩٦): ٣/ ١٢١٧.

٦- لقد اختلف الصحابة ﷺ من المهاجرين والأنصار في الغسل من الجماع من غير إنزال، فأرسلوا أبا موسى الأشعري ﷺ إلى عائشة رضي الله عنها، فأخبرته بحديث رسول الله ﷺ: **«إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل»** فرجعوا إلى قولها[١].

رابعاً: المعقول:

١- إن الرسول ﷺ بُعِث لتبليغ الأحكام، وصدق خبر الواحد ممكن؛ فيجب العمل به احتياطاً؛ وإن إصابة الظن بخبر الصدوق غالبة، ووقوع الخطأ فيه نادر، فلا تترك المصلحة الغالبة خشية المفسدة النادرة[٢].

٢- العمل بخبر الواحد يقتضي دفع ضرر مظنون فكان العمل به واجباً[٣].

٣- الاحتجاج بخبر الواحد الصحيح أمر بدهي تقضي به الفطرة، لا يحتاج إلى كثير من الاستدلالات والبراهين، فما من إنسان إلا وهو يعول شؤونه في العمل أو التجارة أو الدراسة أو غيرها، على ما يخبره به واحد موثوق من الناس، حيث يقع في نفسه صدق المخبر، ويغلب على احتمال الغلط أو احتمال الكذب، بل إن الشؤون الكبرى في مصير الأمم يعتمد فيها على إخبار الآحاد المعتمدين، كالسفراء، أو المبعوثين من قبل الحكومات، فالتوقف عن قبول خبر الواحد يفضي إلى تعطيل الدين والدنيا[٤].

المطلب الثاني: رد العلماء على أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في عدم حجية خبر الواحد:

أولاً: الرد على دليلهم من القرآن الكريم:

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحيض، باب: نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل من التقاء الختانين، (الحديث: ٣٤٩): ١/ ٢٧١- ٢٧٢.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٣/ ٢٤٨.

(٣) المحصول في علم أصول الفقه: الرازي: ٢/ ١/ ٥٥٧.

(٤) الاتجاهات العامة للاجتهاد ومكانة الحديث الآحادي الصحيح منها: د. نور الدين عتر: ٥٦، دار المكتبي: دمشق.

الإجابة على شبهة هذا الاتجاه فيما فسروه من الآيات التي استدلوا بها على رفض خبر الواحد بما يلي:

١- إن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، حجة لنا عليهم في هذه المسألة؛ لأنا لم نقف ما ليس لنا به علم؛ بل قد صح لنا به العلم من اتباع الرسول ﷺ خبر الواحد[١]، ومن انعقاد إجماع من يعتد به على حجية خبر الواحد ووجوب العمل به، والإجماع قاطع؛ فاتباعه لا يكون اتباعاً لما ليس لنا به علم، ولا اتباعاً للظن[٢]، ولا خلاف في أن خبر الواحد إذا وقع الإجماع على العمل بمقتضاه فإنه يفيد العلم؛ لأن الإجماع عليه قد صيره من المعلوم صدقه، وهكذا خبر الواحد إذ تلقته الأمة بالقبول، فسقط اعتراضهم بهذه الآية[٣].

٢- إن الظن الوارد في الآيات غير الظن الذي يتحدث عنه علماء اللغة والفلسفة، غير الظن الذي وصف به خبر الآحاد على لسان أئمة المسلمين من المحدثين، والأصوليين، وبالتالي من الخطأ البين حصر معنى الظن فيما استدلوا به، وإنما المعتبر فيه هو التجويز العقلي المحض للاحتمال المضاد؛ فالتجويز العقلي شيء، والوقوع في نفس الأمر شيء آخر، وبينهما فرق كبير يعرفه كل ذي عقل سليم[٤]، والمراد بحقيقة الظن عند علماء الأمة هو ما يلي:

أ ـ الظن في اللغة: هو التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم[٥]، ويأتي بمعنى العلم كقوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: ٢٠]، أي علمت، ويأتي بمعنى الشك، والتهمة[٦].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ابن حزم: ١/ ١١٤- ١١٥.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي: ٢/ ٣٥، ٤٦.
(٣) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي الشوكاني: ٤٩- ٥٠، دار المعرفة: بيروت.
(٤) أحاديث الصحيحين بين الظن واليقين: الشيخ حافظ ثناء الله الزاهدي: ٩، دار الفتح: الشارقة.
(٥) القاموس المحيط: الفيروزآبادي: مادة ظن.
(٦) لسان العرب: ابن منظور: مادة ظنن.

ب ـ هذا التعريف استعمله علماء الكلام حيث قالوا: «الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك، وقيل: هو أحد طرفي الشك بصفة الرجحان»(١).

ج ـ الظن عند علماء الأصول: «هو ترجيح أحد الاحتمالين الممكنين على الآخر في النفس من غير قطع»(٢).

د ـ الظن عند علماء الحديث: ليس لهذا المصطلح وجود عندهم، حيث إن خبر الواحد عندهم يوجب العلم، ولعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل، أو سمّوا الظن علماً(٣)، وخبر الآحاد؛ وإن كان ظنياً؛ بمعنى احتمال الخطأ والوهم والكذب على الراوي، فإن هذا الاحتمال بعد التثبت والتأكد من عدالة الراوي، ومقابلة روايته بروايات أقرانه من المحدثين، يصبح الاحتمال بخطأه ووهمه ضعيفاً؛ فيفيد الخبر العلم اليقيني، ولاسيما إذا احتفت به قرينة من القرائن، وحتى مع القول بأن خبر الواحد يفيد الظن الراجح بصدق الخبر؛ فإن هذا الظن يستند إلى أصل قطعي وهو القرآن الكريم(٤).

٣ـ نسألهم أين الدليل على أن الله تعالى منعنا بالعمل بالظن، وأمرنا دائماً وأبداً باليقين؟ فالله تعالى لم يطالبنا إلا بالظن الذي يغلّب صدقه، أما الوصول إلى اليقين القاطع الذي ليس معه أي احتمال، فهذا لا يطلب من الإنسان المسلم، إذ ليس من مقدوره أن يصل إلى اليقين، ولهذا عندما تكلم العلماء عن القرآن الكريم، قالوا: إن بعضه قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وبعضه قطعي الثبوت ظني الدلالة، وقد قال تعالى في محكم كتابه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا

(١) التعريفات: علي بن محمد الجرجاني: ١٨٧، دار الريان: القاهرة.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي: ٢/ ٣١.
(٣) المستصفى من علم الأصول: الغزالي: ١/ ٢٧٢.
(٤) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ٢/ ٢٩.

بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٧]، فالراسخون في العلم هم الذين يعودون بالمتشابه إلى المحكم، ويفهمون بذلك الجميع، ومن يطّلع على علم أصول الفقه يتبين الفروق بين العموم والخصوص، ودلالات الألفاظ على المعاني، ودرجة تلك الدلالة مما جرى فيه اختلاف العلماء في كل زمان؛ وفهمهم من كتاب الله تعالى، مما يدل على أننا لسنا متعبدين باليقين؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢]، ففي هذه الآية أوجب الله تعالى علينا قبول قول شاهدين، والعمل بمقتضى شهادتهما في إثبات الحقوق، والدماء، ولاشك أن خبر الشاهدين هو خبر آحاد، ومع ذلك فخبرهما معتبر شرعاً.

مما تقدم يتبين أن كون السنة مفيدة للظن لا يقتضي ردها، وعدم الإذعان لأمرها؛ بل ذلك يقتضي اتباع ما جاء فيها، إضافة إلى ذلك؛ فإن علماء الحديث قد اعتنوا في أمرها، وتتبعوا طرقها حتى أصبحت السنة الصحيحة قريبة من اليقين في ثبوتها، تورث الإنسان حين اطلاعه على شروط الأئمة في قبول الحديث ثقة بها، وعلماً بأن هذه السنة محفوظة بحفظ الله تعالى لها؛ لأن بها بيان كتاب الله، ومعرفة أحكامه وشرائعه[١].

٤- إن تتبّع معنى الظن في هذه الآيات؛ يدل على أن الظن الذي ورد ذَمّه وتوبيخ أصحابه، هو الظن المرجوح، المخالف للقطعيات واليقينيات، والذي أدى بمتبعيه إلى الوقوع في الشرك، واتخاذ الأنداد من دون الله، أما الظن الراجح، فلم يرد مطلقاً ذم لأصحابه أو نهي عن اتباعه، سواء في العقيدة أو الأحكام، وبمثل هذا الظن يحكم القاضي في الأموال والدماء بشهادة الشهود والقرائن، وكلها من قبيل الظن الراجح[٢].

---

(١) ظاهرة رفض السنة وعدم الاحتجاج بها: د. صالح أحمد رضا: ٥٨- ٦٠، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: الرياض.

(٢) انظر للتوسع: مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية بمصر في العصر الحديث: د. أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٣٨- ١٤٠، المدخل إلى السنة النبوية: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٣١٨- ٣٢٢، دار الاعتصام: القاهرة.

ثانياً: الرد على دليلهم من السنة النبوية:

الإجابة على شبهة هذا الاتجاه فيما استدلوا به من حديث ذي اليدين على رفض خبر الواحد بما يلي:

١- أن هذا الحديث هو الوحيد بين عشرات الأخبار والأفعال في الاحتجاج بخبر الواحد، فهو على أية حال لا يعتبر القاعدة في هذا الشأن، وإنما يعتبر الاستثناء بين باقي النصوص، ثم إن هذا الخبر لم يرد ما يصرح بأنه إنما توقف النبي ﷺ في الأخذ به؛ لأنه خبر آحاد، على حين ثبت التصريح القولي، وثبت العمل الفعلي بأخبار الآحاد كما نقلنا ذلك من قبل، فهو على أي حال محتمل، ولا يدفع النصوص الصريحة، والأعمال الواضحة في الاحتجاج بأخبار الآحاد.

٢- خبر ذي اليدين معارض لما غلب على ظن النبي ﷺ من أنه أتم الصلاة، فلهذا المعارض لابد من مرجّح، فلما شهد أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بذلك، رجّح قول ذي اليدين على ما غلب على ظن النبي ﷺ فقبله.

٣- خبر ذي اليدين، كان معارَضاً بسكوت الجمع الكثير من الصحابة رضي الله عنهم الذين شهدوا الصلاة، فسكوتهم أمارة على خطأ ذي اليدين، فتوقف النبي ﷺ، فلما شهد معه غيره؛ تبين أن هذا السكوت غير معارض لما قاله ذو اليدين، فأخذ به[1].

٤- توقف رسول الله ﷺ عن قول ذي اليدين يحتمل ثلاثة أمور:

أ ـ أنه جوز الوهم عليه لكثرة الجمع، وبُعد انفراده بمعرفة ذلك مع غفلة الجميع، إذ الغلط عليه أقرب من الغلط على الجمع الكثير، وحيث ظهرت أمارات الوهم يجب التوقف.

ب ـ أنه وإن علم صدقه؛ جاز أن يكون سبب توقفه أن يعلّمهم وجوب التوقف في مثله، ولو لم يتوقف لصار التصديق مع سكوت الجماعة سنة ماضية، فحسم سبيل ذلك.

---

(١) حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٢٨.

ج ـ أنه قال قولاً لو علم صدقاً لظهر أثره في حق الجماعة، واشتغلت ذمتهم فألحق بقبيل الشهادة، فلم يقبل فيه قول الواحد[١].

٥ـ الحديث هو خبر الواحد فلا يستدل به لإبطاله، وإنما توقف النبي ﷺ للريبة؛ لأن الانفراد من بين جماعة مشاركة في سبب العلم مظنة الخطأ؛ لا لأنه خبر الواحد، كيف وقد عمل مراراً بخبر الواحد[٢].

ونخلص من كل هذا إلى أن التوقف في خبر ذي اليدين؛ إنما كان لأمر عارض آخر مجرد تفرد به، وإلا فكيف يرده للتفرد، وقد تواتر عنه ﷺ قبول خبر الواحد والعمل به.

ثالثاً: الرد على دليلهم من عمل الصحابة رضي الله عنهم:

١ـ توقف أبي بكر رضي الله عنه في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه في ميراث الجدة؛ فهو أولاً لا ينقض العمل بخبر الواحد؛ لأنه بعد أن شهد له محمد بن مسلمة رضي الله عنه يبقى من قبيل الآحاد، فلا يبلغ بذلك حد التواتر، ولا حد الشهرة عند من يقولون بذلك.

٢ـ من ناحية أخرى ليس رداً للحديث؛ وعدم العمل به، وإنما هو طلب لراو آخر يقوّى به الرواية ويظهرها، ويؤكدها لعلة عرضت لأبي بكر رضي الله عنه حول هذه الرواية، فاستغرب أبو بكر رضي الله عنه خفاء ميراث الجدة عليه، وعلى الناس، ومعرفة المغيرة رضي الله عنه له دون غيره من الصحابة رضي الله عنهم، فهذه الغرابة هي التي ألحقت الريبة في الرواية، فلعل الراوي وهم أو نسي، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يستظهر لهذه الرواية رواية أخرى قبل أن يثبت حكماً في هذا الدين، فلهذا الاستغراب من أبي بكر رضي الله عنه، وهو سبب عارض بالنسبة للرواية وكونها رواية واحد، كان طلب الشاهد لا لمجرد كونها رواية واحد بدليل قبوله لآحاد غيرها.

---

(١) المستصفى من علم الأصول: الغزالي: ١/ ٢٨٧، الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي: ٢/ ٦٢.

(٢) فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت في أصول الفقه: محب الله بن عبد الشكور: ٢/ ١٣٦، دار العلوم الحديثة: بيروت.

٣- أبو بكر ﷺ الذي توقف في هذه الرواية، وطلب مع المغيرة ﷺ شاهداً لم يثبت عنه أنه توقف في رواية أخرى؛ بل ثبت عنه قبول العديد من أخبار الآحاد، والذي يستغرب من موقف هؤلاء الناس الذين عرفوا توقف أبي بكر ﷺ في هذا الحديث؛ ولم يعرفوا قبوله للعديد من أحاديث الآحاد غيره، وجعلوا توقفه في هذا الحديث قاعدة للصحابة ﷺ في الاحتجاج بأحاديث الآحاد، ومئات الروايات صارت هي الاستثناء(١).

٤- لعل توقف أبي بكر ﷺ في حديث المغيرة ﷺ في توريث الجدة، له وجه اقتضى التوقف، وربما لم يطلع عليه أحد، أو لينظر أنه حكم مستقر، أو منسوخ، أو ليعلم هل عند غيره مثل ما عنده ليكون الحكم أوكد، أو خلافه فيندفع، أو توقف في انتظار استظهار بزيادة؛ كما يستظهر الحاكم بعد شهادة اثنين على جزم الحكم إن لم يصادف الزيادة، لا على الرد، أو أظهر التوقف لئلا يكثر الإقدام على الرواية عن تساهل، ويجب حمله على شيء من ذلك؛ إذ ثبت قطعاً قبول خبر الواحد، وترك الإنكار على القائلين به(٢).

٥- أما سبب توقف عمر ﷺ في حديث أبي موسى ﷺ في الاستئذان، فقد قال عمر ﷺ بعد أن شهد أبو سعيد الخدري ﷺ مع أبي موسى ﷺ بأنه سمع ذلك من النبي ﷺ: «إني لم أتهمك، ولكن الحديث عن رسول الله ﷺ شديد»(٣)، وقد شهد أيضاً أبيّ بن كعب ﷺ مع أبي موسى ﷺ، وقال أبيّ لعمر: يا ابن الخطاب، فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ فقال عمر ﷺ: «سبحان الله! إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أتثبت»(٤).

وفي هذا بيان صريح من عمر ﷺ لسبب توقفه في قبول هذا الحديث؛ فهو أولاً: لم يتوقف فيه لأنه واحد؛ وإنما توقف لأنه يريد أن يتشدد ويشدد في قبول

---

(١) حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٥٩- ٦٠.

(٢) المستصفى من علم الأصول: الغزالي: ١/ ٢٨٨.

(٣) رواه أبو داود في كتاب: الأدب، باب: كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان، (الحديث: ٥١٨٣): ٥/ ٣٧٢.

(٤) رواه مسلم في كتاب: الآداب، باب: الاستئذان، (الحديث: ٢١٥٤): ٣/ ١٦٩٦- ١٦٩٧.

الأخبار عن رسول الله ﷺ حتى لا يتساهل الناس في هذا الأمر، وثانياً: يريد أن يتثبت ليزيل شبهة عرضت له في هذا الخبر[١].

٦- كان أبو موسى رضي الله عنه محتاجاً إليه ليدفع به سياسة عمر رضي الله عنه عن نفسه لما انصرف عن بابه، بعد أن قرع ثلاثاً كالمترفِّع عن المُثُول ببابه، فخاف عمر رضي الله عنه أن يصير ذلك طريقاً لغيره إلى أن يروى الحديث على حساب غرضه، بدليل أنه لما رجع مع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وشهد له، قال عمر رضي الله عنه: «إني لم أتهمك، ولكني خشيت أن يتقوّل الناس على رسول الله ﷺ»، ويجوز للإمام التوقف مع انتفاء التهمة لمثل هذه المصلحة[٢].

٧- توقفهم لمعان أوجبت التوقف؛ وإلا فقد قبلوا خبر الواحد، وكان النبي ﷺ ينفذ الآحاد إلى الملوك والسعاة للزكوات[٣]، أو أنهم فعلوا ذلك تثبتاً في قضية خاصة؛ ولذلك حكما في وقائع كثيرة بأخبار الآحاد[٤].

٨- ليس ما ذكر عن الصحابة رضي الله عنهم من ردهم للأخبار[٥] كان لذات الخبر، وإنما لأسباب كالاحتياط، أو التثبت، أو قامت شبهة، أو مانع من القبول، ولو قصرنا العمل على الأخبار المتواترة لتعطل كثير من الأحكام؛ وخاصة أن الأخبار المتواترة قليلة، والحوادث كثيرة[٦].

(١) انظر للتوسع: المجروحون من المحدثين والضعفاء والمتروكين: ابن حبان: ١/ ٣٧- ٣٨، تذكرة الحفاظ: شمس الدين الذهبي: ١/ ٦، دار إحياء التراث العربي: بيروت، حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٥٨.

(٢) المستصفى من علم الأصول: الغزالي: ١/ ٢٨٨.

(٣) تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي: محمد بن بهادر الزركشي: ٢/ ٩٧٠.

(٤) شرح الكوكب المنير: ابن النجار الحنبلي: ٢/ ٣٦٤.

(٥) انظر للتوسع: حجية خبر الواحد في الأحكام والعقائد: د. محمد عبد الله عويضة: ٦٢- ٧٠، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي: ١٦٢- ١٦٤، دار السلام: القاهرة.

(٦) حكم الاحتجاج بخبر الواحد إذا عمل الراوي بخلافه: عبد الله بن عويض المطرفي: ٥٤، مكتبة الرشد: الرياض.

الفصل الثالث

أبرز آراء أصحاب الاتجاه العقلي في الأحاديث النبوية والرد عليها

المبحث الأول: رأي الاتجاه العقلي في مسألة الشفاعة كنموذج لأحاديث العقيدة والرد عليه.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد أحاديث الشفاعة والرد عليها.

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات الشفاعة.

المبحث الثاني: رأي الاتجاه العقلي في مسألة سحر النبي ﷺ كنموذج لأحاديث السيرة والرد عليه.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد حديث سحر النبي ﷺ.

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات حديث سحر النبي ﷺ والرد على أدلة الاتجاه العقلي.

المبحث الثالث: رأي الاتجاه العقلي في مسألة حد الردة كنموذج لأحاديث الأحكام والرد عليه.

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد أحاديث حد الردة.

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات حد الردة والرد على أدلة الاتجاه العقلي.

obeikandl.com

المبحث الأول

رأي الاتجاه العقلي في مسألة الشفاعة كنموذج لأحاديث العقيدة

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد أحاديث الشفاعة والرد عليها:

إن سبب تبنّي هذا الرأي عند أصحاب هذا الاتجاه؛ هو لغلبة المنحى العقلي على تفكيرهم، وإيثارهم لأدلة العقول على ما سواها في مجال الاستدلال، ولقلة اشتغالهم بالحديث وعلومه.

أولاً: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث الشفاعة[١]:

إن الأصل في رأيهم هذا؛ هو ما قال به المعتزلة[٢]، والإباضية من الخوارج[٣]، والزيدية من الشيعة[٤] في إنكار الشفاعة لإخراج قوم من النار، وهم

(١) الشفاعة: «هي التجاوز عن الذنوب والجرائم». انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الجزري: ٤٨٠. أو هي: «توسل رسول الله ﷺ وسجوده بين يدي ربه، وتضرعه إليه، ليخفف عن الناس في الآخرة موقفهم، ويعجل لهم فصل القضاء وحسابهم في حشرهم، ثم تضرعه إلى الله لينقذ العصاة من أمته، بأن يسامحهم، ويخرجهم من النار بعد أن دخلوها بذنوبهم، وأن يرفع درجات بعض المؤمنين من أمته في الجنة، إظهاراً لمقامه عند ربه. انظر: الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ١٦، دار الكلم الطيب: دمشق.

(٢) انظر للتوسع: حجية الدليل النقلي بين المعتزلة والأشاعرة: أحمد قوشتي عبد الرحيم: ١٢٨-١٢٩، المعتزلة بين الفكر والعمل: بحث موقف المعتزلة من السنة: د. أبو لبابة حسين: ١٣٣- ١٣٥.

(٣) هذه مبادئنا: رد على كتاب الإباضية عقيدة ومذهباً للدكتور صابر طعيمة: أحمد مهني مصلح، محمود جمعة الأندلسي، عاشور يوسف كسكاس، مهني عمر التيواجني: ١٣١، مكتبة الاستقامة: مسقط.

(٤) الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٣٦، دار الكاتب العربي: بيروت.

من دخلها ممن ارتكب الكبائر[١] فقط، وهذا هو تحرير محل الخلاف بين المعتزلة والإباضية ومن تبعهم من أصحاب الاتجاه العقلي؛ وبين جمهور علماء المسلمين الذين قالوا بأن عصاة الموحدين الذين ماتوا على التوحيد، وهم من أهل الكبائر سوف تشملهم شفاعة الله، أو من أذن له الله كالأنبياء والملائكة والشهداء والصالحين[٢]، وهذه تعتبر أول قضية شغلت الفكر الإسلامي منذ عصر الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا[٣]، وسأذكر أهم أقوال هذا الاتجاه في ذلك، ثم أورد من تأثر بهم من أصحاب الاتجاه المنحرف:

الأول: أقوال أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث الشفاعة:

١- قال د. مصطفى محمود: «المسلم الذي بلغ درجة التقوى في إسلامه؛ ينبغي أن يأخذ أحاديث الشفاعة بمنتهى الحذر؛ ويرفض أكثرها بلا تردد... ولهذا كان موضوع الشفاعة موضوعاً محبباً للشيطان لاستدراج الإنسان إلى الشرك... والشفاعة فيها فتنة؛ لأنها تزين للعبد مصلحة، ومن هنا يحلو للشيطان أن يستدرجنا من خلالها لنفعل ما نشاء من موبقات وخطايا، ولا نشغل أنفسنا بتوبة، فصاحب المقام المحمود سوف يخرجنا في النهاية من النار بإشارة من يده، ولم يسلم رواة الأحاديث من هذا المنزلق، فهم بشر، فيهم ضعف البشر، وليسوا ملائكة، ومن هنا جاءت المشكلة»[٤].

---

(١) الكبيرة: «هي ما توعّد عليه الشارع في الكتاب أو السنة»، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الكبيرة: كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعن أو عذاب»، والأمثلة على الكبائر كثيرة: كالقتل والزنا واللواط وشرب الخمر والسرقة والغصب وشهادة الزور وقطع الرحم وأكل الربا وأكل مال اليتيم... انظر: التقرير والتحبير شرح التحرير في علم الأصول: ابن أمير الحاج: ٢/ ٢٤٢، ٢٤٤، دار الكتب العلمية: بيروت.

(٢) الشفاعة: حوار علمي استدلالي بين د. يوسف القرضاوي ود. مصطفى محمود: د. محمد شيخاني: ٦- ٨، دار قتيبة: دمشق.

(٣) انظر للتوسع: الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٨- ١٢، دار نهضة مصر: القاهرة.

(٤) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ١١٤- ١١٧.

ومن الغريب أن د. مصطفى محمود قد انفرد بإنكار الشفاعة العظمى للنبي ﷺ، وهذا لم يقل به أحد من قبله أبداً، حتى المعتزلة[١].

٢- قال الشيخ محمد أمين شيخو: «الشفاعة: هي حال من الأحوال النفسية، فالرسول ﷺ الذي أقبل على ربه أعظم وأسمى إقبال، هذا الرسول الذي يتوارد عليه أعظم تجلٍّ من الله، وأشد نور وإمداد، إذا توجّه بنفسه لأصحابه الذين أقبلوا عليه وصدقّوا برسالته، وبما جاءهم به عن الله، فهناك يسري ذلك النور الإلهي؛ بواسطة الرسول ﷺ إلى أصحابه والمؤمنين به، ويكون الرسول العظيم بهذا الحال وسيطاً بين الله وخلقه، ووسيلة تخفف من شدة ذلك التجلي، فتتمكن الأنفس من تقبُّله وتحمُّله، وهذه هي حقيقة الشفاعة...، وليست الشفاعة للعصاة، ولا لأهل الكبائر»، وهو ما قال به أ. عبد القادر يحيى الديراني[٢]، وأ. عبد الهادي الباني[٣]، وعبد الغني محمد[٤].

الثاني: أقوال أصحاب الاتجاه المنحرف في رد أحاديث الشفاعة:

١- قال نيازي عز الدين: «قبول مبدأ الشفاعة في الإسلام؛ إعلان جديد للإشراك القديم الذي كان عليه مشركو مكة بالشفاعة...، ويجب ألا ننسى أن موضوع الشفاعة خطير؛ لأن سبب الإشراك القديم لمشركي مكة، كان بسبب اعتقادهم بالشفاعة للملائكة التي بعبادتها كانوا يتقربون لله، ويرجون شفاعتها لهم يوم القيامة»[٥].

٢- قال حسني يوسف الأطير: «وسنرى من خلال الدراسة، كيف قام بعض صغار الصحابة والمسلمين الأولين بوضع أسس هذه الدعوى بشفاعة الرسول عن

---

(١) شفاعة صاحب الحوض المورود والرد على شبهات مصطفى محمود: د. مصطفى الذهبي: ٤٥- ٤٦، دار الفتح: القاهرة، الشفاعة: حوار علمي استدلالي بين د. يوسف القرضاوي ود. مصطفى محمود: د. محمد شيخاني: ١٤.

(٢) حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ١١.

(٣) أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ٨.

(٤) الشفاعة وعذاب القبر: عبد الغني محمد: ١٠٤، مطبعة الأهرام: القاهرة.

(٥) دين السلطان: نيازي عز الدين: ٢٠٨، دار الأهالي: دمشق.

أمته، حتى صارت من بعد حقيقة إيمانية في وجدان المسلم، رغم أنها لم تكن قط من أصول الاعتقاد، ولا رويت قط عن واحد من أكابر الصحابة من السابقين الأولين»[١].

وهذا ما قال به د. إسماعيل منصور[٢]، ود. أحمد صبحي منصور، ومحمد رشاد خليفة، والسيد صالح أبو بكر[٣]، والشيخ عبد الله الجَكْرَالَوي الباكستاني[٤].

ثانياً: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث الشفاعة والرد عليها:

استدل هؤلاء في إنكار حديث الشفاعة بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، والعقل، وذلك بما يلي:

أ ـ القرآن الكريم:

القرآن ينفي إمكانية خروج من يدخل النار في الكثير والعديد من آياته من الكفار والمسلمين:

١ـ قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧].

٢ـ قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٧-١٠٨].

٣ـ قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

٤ـ قول الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾ [الزمر: ١٩].

والله ينكر على رسوله ﷺ أن يقول مثل هذا الكلام عن أهل النار ممن حقت عليهم كلمة العذاب من كفار أو مسلمين، كما ينكر الخروج من النار على من كتب

(١) الشفاعة وأصول الوثنية العربية: حسني يوسف الأطير: ٧، مكتبة الزهراء: القاهرة.
(٢) تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ٦٠٨.
(٣) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ٢/ ٢٤٧.
(٤) القرآنيون وشبهاتهم حول السنة: خادم حسين إلهي بخش: ٣٤٤، مكتبة الصديق: الطائف.

عليهم بدخولها، فكل من يدخل النار تتأبد إقامته فيها[١]، ولا يوجد في القرآن حكاية التعذيب لأجل محدود في جهنم[٢].

الرد على ذلك: هذه الآيات التي مرت، إنما هي آيات نزلت في شأن الكافرين والمشركين بالله تعالى، وماتوا على ذلك، فهم الذين سيدخلون جهنم خالدين فيها[٣]، والعجب من الكاتب كيف يأتي بآيات مقتطعة عن سياقها، مبتورة عن أخواتها من الآيات السوابق واللواحق لها؟ ثم يبني على ذلك حكماً عاماً، والحكم خاطئ؛ لأنه قد بني على غير أساس متين، وما بني على خطأ فهو خطأ[٤].

٥- قول الله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: ٤٤]، وهو بذلك يجمع سلطة الشفاعة جمعية واحدة، ويجعلها لله وحده[٥].

---

(١) من ينكر من المعاصرين الشفاعة لأهل الكبائر من المسلمين، فهو ينطلق أولاً من خلود مرتكب الكبيرة في النار، وهذا بالأصل هو رأي الخوارج، ثم بعد ذلك يذهب إلى رد الشفاعة عن هؤلاء الناس من المسلمين ثانياً، وإن القول بخلود المسلم العاصي في النار، فيه تسوية بين هذا المسلم وبين الكافر، وهو يتنافى مع العدل الإلهي. الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة والرد على لواء محمد شبل في إنكار يوم عرفة: د. عبد المهدي بن عبد القادر ابن عبد الهادي: ١٦، دار الاعتصام: القاهرة.

(٢) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٣٩-٤١، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢٤.

(٣) انظر للتوسع: الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ١٢- ١٥، د. مصطفى محمود إلى أين؟: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٧٢، دار الاعتصام: القاهرة، الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٢٦- ٢٩، الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٨٨، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٧- ٣٩، ٤١، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة.

(٤) انظر للتوسع: اكتساب المناعة في إثبات الشفاعة: أمير فتوح عبد العليم شيشي: ٨٣- ٨٧، مكتبة البلد الأمين: القاهرة، حوار مع الدكتور مصطفى محمود في الشفاعة: د. طه الدسوقي حبيشي الدمياطي: ٣٩- ٤٩، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ١٧-٢٨، دار الغد العربي: القاهرة.

(٥) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٢٨، ٤٥، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٤١، الشفاعة وعذاب القبر: عبد الغني محمد: ١٠٤، الشفاعة وأصول الوثنية العربية: حسني يوسف الأطير: ٤١٠.

الرد على ذلك: نعم لله الشفاعة جميعاً؛ لأنه لا يشفع أحد إلا بإذنه، ولا يشفع أحد إلا برضاه، كما هو ظاهر الآيات، كقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فهذا نص في شفاعة الخلق بشرط أن يأذن الله به، ولا يصح أن تفسر الآية على أن الله وحده الذي يشفع، لا يصح مطلقاً، فعند من سيشفع؟ إن الشفاعة لله؛ أي هي منّة يمنّ بها على من شاء من خلقه(١).

٦- قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفِطار: ١٩]، أي لا تملك أي نفس لأي نفس، مهما علا مقام هذه النفس التي تشفع، ومهما بلغت درجتها، لا تملك من أمر الله شيئاً، ويلخص القرآن قانون هذا اليوم الرهيب في كلمات قليلة(٢).

الرد على ذلك: نعم لا تملك نفس لنفس شيئاً، فالشافع لا يملك للمشفوع له شيئاً، إنما يرجو الله ويسأله، فإذا أذن الله له شفع، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يُونس: ٤٩]، فالرسول ﷺ لا يملك حتى لنفسه شيئاً، إلا أن الله تعالى وعده أن يشفعه يوم القيامة، بمعنى يستجيب الله رجاء حبيبه ورسوله(٣).

٧- قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النِّسَاء: ١٢٣]، الجزاء في هذا

(١) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د.عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ١٩، شفاعة صاحب الحوض المورود والرد على شبهات مصطفى محمود: د.مصطفى الذهبي: ٥٤، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د.محمد محمود سعيد: ٤٠، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٤٢، شفاعة الرسول ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية: د.إسماعيل الدفتار: ١٨، دار الروافد الثقافية: القاهرة.

(٢) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٤٤، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢٤، الشفاعة وعذاب القبر: عبد الغني محمد: ١٠٤، الشفاعة وأصول الوثنية العربية: حسني يوسف الأطير: ٤٠٩.

(٣) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د.عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٢٠، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د.محمد محمود سعيد: ٤٤- ٤٥، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٤٣- ٤٤.

اليوم على قدر العمل، والعفو والصفح حق لله تعالى وحده، فلله الشفاعة جميعاً لا يشاركه في هذا الحق مخلوق، فهو يعفو إن شاء، ولا يسأل عما يفعل، وهو يعاقب بالنار الأبدية إن شاء[١].

الرد على ذلك: أن المسيء لا يجد له من دون الله من يتولاه، ولا من ينصره، وهذا لا ينفي الشفاعة، فالشافع ليس ولياً من دون الله، وليس نصيراً من دون الله، وإنما هو شافع بإذن الله، هو مخلوق يرجو ربه، ويسأله العفو عن المسيء[٢].

٨- قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٢٨]، وهذا خطاب للنبي ﷺ فكيف نقلب الأمر، ونجعل من النبي ﷺ صاحب الأمر يوم القيامة، والمنفرد بالشفاعة يومها، وهو الذي قال له ربه معاتباً: ليس لك من الأمر شيء[٣].

الرد على ذلك: أنه لم يقل أحد من علماء المسلمين: إن لرسول الله ﷺ من الأمر شيئاً مع الله، فالشفاعة ليست مشاركة لله في الأمر، والآية هي في حق الكافرين، فلماذا يجعلها منكرو الشفاعة على المسلمين؟[٤].

٩- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٤].

١٠- قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾ [السَّجدَة: ٤].

---

(١) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٤٥، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٣٨.

(٢) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٢١، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٤٥- ٤٦، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٦.

(٣) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٥١.

(٤) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٢٠، الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٩٤، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٥٤- ٥٦، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٤- ٣٦.

وهذه الآيات قد نفت الشفاعة؛ وهو نفي قطعي لأي نوع من ولي أو شفيع[١].

الرد على ذلك: أن الشفاعة في مواقف معينة، وهناك مواقف لا شفاعة فيها، وكل ذلك قد بينته السنة، من ذلك: ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: «**أما في مواطن ثلاثة فلا، الكتاب، والميزان، والصراط**»[٢].

وواضح من هذا الحديث: أن مواقف القيامة بعضها لا شفاعة فيه، وبعضها فيه شفاعة، وبجمع الأحاديث التي في الشفاعة يتضح: أنه لا انصراف من موقف الازدحام إلا بشفاعة رسول الله ﷺ، وهناك شفاعات عند دخول النار، وبعد دخول النار، أما عند تطاير الكتب، وعند الصراط، وعند الميزان، فلا شفاعة[٣].

---

(١) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ١٠٢، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢٤، شفاعة صاحب الحوض المورود والرد على شبهات مصطفى محمود: د. مصطفى الذهبي: ٥٣- ٥٤، الشفاعة وعذاب القبر: عبد الغني محمد: ١٠٤، الشفاعة وأصول الوثنية العربية: الأطير: ٤١٣، ٤١٩.

(٢) رواه أبو داود في كتاب: السنة، باب: في ذكر الميزان، (الحديث: ٤٧٥٥): ٥/ ١١٦، ورواه الحاكم في المستدرك في كتاب: الأهوال، (الحديث: ٨٧٢٢): ٤/ ٥٧٨، وقال: «هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين، لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة رضي الله عنها، على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما»، ورواه أحمد في مسنده، (الحديث: ٢٤٦٩٦): ٤١/ ٢٢٥، واللفظ له، وكلهم رووه من طريق الحسن البصري، عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف؛ لأن الحسن كان يرسل كثيراً، وهذه الرواية من إرسالاته. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ١٦٠، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف في كتاب: الزهد، (الحديث: ١٦٢٥٣): ١٣/ ٢٥٠، من طريق الشعبي، عن عائشة رضي الله عنها، وإسناده ضعيف؛ لأن الشعبي عن عائشة مرسل. انظر: تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل: ولي الدين أبو زرعة العراقي: ٢١٨، مكتبة الخانجي: القاهرة.

(٣) دفع أباطيل د. مصطفى محمود في إنكار السنة النبوية: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٧٧، دار الاعتصام: القاهرة، حوار مع الدكتور مصطفى محمود في الشفاعة: د. طه الدسوقي حبيشي الدمياطي: ٢٣- ٣٣، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٤، شفاعة الرسول ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية: د. إسماعيل الدفتار: ٨- ٩، الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٢٧- ٢٨.

والخلاصة: أن القرآن يفسّر بعضه بعضاً، وبالتالي يجب علينا أن نجمع ما ورد منها في الموضوع الواحد، حتى تتكامل الصورة أمامنا، فما أُجمل في موضع ربما فُصّل في موضع آخر، وما أُطلق في سياق، قد يكون قُيّد في سياق آخر، وما عُمّم في آية قد يكون خُصّص في آية أخرى، وإذا نظرنا في ضوء ذلك في الآيات التي استدل بها المنكرون للشفاعة بإطلاق، نجد في مقابلها آيات أخرى قيدتها، أو خصصتها، أو فسرتها، فلابد لنا أن نفهم هذه في ضوء تلك[١].

وهناك أدلة أخرى متفرعة من هذه الأدلة التي ذكرناها، ولكنها لا تخرج عنها[٢].

ب ـ السنة النبوية:

١ـ ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً**»[٣].

---

(١) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٢٨.

(٢) انظر للتوسع: د. مصطفى محمود إلى أين؟: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٧٣- ٨٠، الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٨٥- ٨٨، مطبعة العمرانية: القاهرة، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٤١- ٤٣، ٦٦- ٦٨، ٧٢، ٨٨- ٩٠، إنكار الشفاعة: الشيخ محمد متولي الشعراوي: ٣٣، ٤١- ٤٢، الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ١٧- ١٨، ٢٥، ٧١، أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ١٦- ١٧، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٤١، ٥٠، فضيلة العلامة العربي الكبير محمد أمين شيخو يرد على معارضيه: أ. عبد القادر يحيى الديراني: ٥٤- ٥٥، الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٢٦، دين السلطان: نيازي عز الدين: ٢٠٩، الشفاعة وأصول الوثنية العربية: حسني يوسف الأطير: ٤١٢ـ ٤١٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين، (الحديث: ٤٧٧١): ٣/ ٢٧٣.

وهذا النبي ﷺ قد أخلى مسؤوليته، وتبرأ من الوساطة لأحد، حتى لأعز الناس، حتى لابنته الغالية، ومهجة قلبه فاطمة رضي الله عنها، فكيف جعلوا بعد ذلك من النبي ﷺ وسيطاً يتشفع عند الله ليخرج من النار بعض من دخلها من أمته؟ فيخرجهم ربنا من النار، وقد تفحموا من أثر جهنم، وكيف يقبل هذا الكلام ويوضع في كفة واحدة مع كلام الله المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[١].

الرد على ذلك: هو أن هذا الحديث لا ينفي الشفاعة، ويجاب عنه من جهتين:

أ ـ إن هذا الحديث متقدم، كان في بداية الدعوة، وكان يدعوهم إلى التوحيد، وبدون التوحيد لا شفاعة، فمن أسلم منهم يمكن أن يشفع له، أما من لم يسلم فإنه لن يغني عنه النبي ﷺ من الله شيئاً.

ب ـ إن هذا الحديث المتقدم، كان في بداية الدعوة، ولم يكن الله سبحانه أعلمه ﷺ بأنه سيشفعه بعد[٢].

والحديث لا علاقة له بإثبات الشفاعة له ﷺ أو نفيها عنه، فإنه ﷺ قد بُعث للناس بشيراً ونذيراً، أي ينذر الناس سوء عاقبة البقاء على الكفر، والطبعي أن يكون الإنذار أول ما يكون للأقرباء من الأقارب[٣].

٢ـ يقول د. مصطفى محمود: «وما حفزني على الكتابة في موضوع الشفاعة إلا حديث رسولنا العظيم الذي قال فيه: (من يترك العمل، ويتكل على الشفاعة، يورد نفسه المهالك ويحرم من رحمة الله)، هو حافزي الأول والأخير، ونحن أمة المتواكلين»[٤].

---

(١) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٥١-٥٢.

(٢) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٢٢، شفاعة صاحب الحوض المورود والرد على شبهات مصطفى محمود: د. مصطفى الذهبي: ٦٤.

(٣) حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٥٦، شفاعة الرسول ﷺ في القرآن الكريم والسنة النبوية: د. إسماعيل الدفتار: ٥٢-٥٣.

(٤) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٧٧.

الرد على ذلك: أن هذا الحديث الذي ذكره لم أجده في أي شيء من كتب الحديث، لا في الصحيح، ولا في الضعيف، ولا في الموضوع، وبالتالي فهو لا أصل له[١]، ومن العجيب أن الكاتب يستشهد بالحديث والسنة هنا، وهو الذي يرد الأحاديث الصحيحة في إثبات الشفاعة، وهذا يدل على أنه تخير ما يروق له، وما يتفق وهواه؛ دون نظر إلى صحة الحديث أو ضعفه، وكان أولى به أن يستشهد بتلك الأحاديث الصحيحة[٢].

بعد أن يستدل هذا الكاتب بحديث لا أصل له، يرمي أحاديث الشفاعة الصحيحة بأنها من كتب مدسوسة، وهدف هذه الأحاديث المدسوسة هو إفساد الدين، والتحريض على التسيب والانحلال، وفتح الباب للكل على حد تعبيره[٣].

الرد على ذلك: أن أحاديث الشفاعة ليست مدسوسة كما زعم الكاتب؛ بل هي صحيحة وثابتة، ولا حرج على فضل الله تعالى، فهو يغفر الذنوب ويستر العيوب، ويأذن بالشفاعة لنبيه ﷺ تعظيماً لقدره[٤]، ويؤخذ على الكاتب أنه رفض كل الأحاديث في الشفاعة، وهاجم السنة، وهذا لم نكن نتوقعه لما في كتبه من ذكر للأحاديث[٥].

---

(١) الرد على مصطفى محمود في إنكار الشفاعة: د. عبد المهدي بن عبد القادر بن عبد الهادي: ٥١.

(٢) اكتساب المناعة في إثبات الشفاعة: أمير فتوح عبد العليم شيشي: ٥٨- ٥٩، مكتبة البلد الأمين: القاهرة.

(٣) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٣٢، وانظر للتوسع: فضيلة العلامة العربي الكبير محمد أمين شيخو يرد على معارضيه: أ. عبد القادر يحيى الديراني: ٣٤- ٤٢، ٢٢١، ٣٥٠- ٣٥٣، حقيقة الشفاعة: عبد القادر يحيى الديراني: ٢٨- ٣٤، تبصير الأمة بحقيقة السنة: د. إسماعيل منصور: ١/ ٦٠٧- ٦١٣، دين السلطان: نيازي عز الدين: ٢٠٧- ٢٠٨.

(٤) اكتساب المناعة في إثبات الشفاعة: أمير فتوح عبد العليم شيشي: ١٠٤، حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٢٨، وانظر للتوسع: أهكذا يكون فهم الإسلام: أحمد إسماعيل الراغب: ١٢٩- ١٨٤.

(٥) الشفاعة: حوار علمي استدلالي بين د. يوسف القرضاوي ود. مصطفى محمود: د. محمد شيخاني: ٣٤.

وللمعتزلة أدلة تولّى بعض العلماء المعاصرين ذكرها والرد عليها، ولا حاجة أن نذكرها هنا[١].

ج ـ العقل:

أن الشفاعة هي لون من المحاباة والمحسوبية والوساطة، كما يتجلى ذلك في أعرافنا، وسلوكنا العام، وهذا ينافي العدل الإلهي المطلق، الذي لا يعرف المحاباة، ويعطي كل ذي حق حقه، ويجزي كل نفس بما كسبت[٢].

الرد على ذلك: هذا المنطق العقلي ضعيف، لا يقوم على أساس متين، لعدة أسباب:

١ـ العقل والإيمان بالغيب: فكل ما جاء به الوحي المعصوم من عقائد، ومنها الشفاعة، يجب على العقل أن يصدق بها، إيماناً بالغيب، وإن لم يكن يعرف كنهها، ما دامت غير مستحيلة عقلاً.

٢ـ العقل وإدراك الحكمة: إن العقل المسلم يرى في القرآن والسنة الصحيحة في إثبات الشفاعة لأهلها بشرطها: ما يجعله يأخذها باطمئنان، ويوقن بها بلا تردد، وإن لم يدرك العقل كل سرها.

٣ـ الحكمة واضحة في الشفاعة هي الرحمة والفضل مع العدل: فالله تعالى لا يتعامل مع عباده بالعدل وحده؛ بل بالعدل والفضل والرحمة معاً، وهذا في الدنيا والآخرة.

٤ـ الشفاعة تكريم من الله لبعض عباده المؤمنين: من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، وأي غرابة في أن يكرم الله بعض عباده، فيمنحهم حق الشفاعة في بعض عباده، والملك ملكه، والخلق خلقه؟![٣].

---

(١) موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين: ١/ ٣٧٩- ٣٩٦، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ٢/ ٢٤٧- ٢٥٢.

(٢) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د. مصطفى محمود: ٢٧، ٥٢، ٥٥.

(٣) انظر للتوسع: الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٢٧، ٣٦- ٤٣.

٥- الفرق بين الشفاعة والوساطة: حيث إن الوساطة تدخل ذي حظوة بين ذي حاجة؛ وبين ذي سلطان تدخلاً يكون من شأنه إذا أثمر، حصول ذي الحاجة على حاجته من ذي السلطان؛ ولو لم يكن صاحب حق، وجوراً على صاحبه، فهذا المعنى فيه إضرار بالعدالة، وبهذا المعنى فإنها تختلف عن الشفاعة التي لا تكون إلا لمن آمن بالله وحده لا شريك له، ولا تتضمن اعتداء على أحد من العباد، وفيها تشريف للنبي ﷺ[(١)].

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات الشفاعة:

استدل علماء المسلمين على إثبات الشفاعة من القرآن، والسنة، والمعقول:

أولاً: القرآن الكريم:

لقد تكررت كلمة الشفاعة في القرآن الكريم بأنواعها ثمانياً وعشرين مرة، في سور شتى، ووقعت تارة بالنفي، وتارة أخرى بالإثبات، ويدل كثرة ورودها عن مدى اهتمام القرآن بهذا الأصل؛ سواء في مجال النفي، أو في مجال الإثبات، ولكي نعرف معنى الشفاعة بدقة فإنه يجب علينا أن ننظر إليها باستقراء وشمولية، فكتاب الله لا يتناقض؛ بل إن معانيه تتكامل، والآيات يفسر بعضها بعضاً، فما أُجمل في موضع؛ فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في موضع فإنه قد يبسط في موضع آخر، وأما الآيات التي تنفي الشفاعة فهي نزلت في شأن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين، وهؤلاء لا تنفعهم الشفاعة لعدم الإيمان، وهم في نار جهنم خالدين فيها أبداً، وقد استعرضنا من هذه الآيات عند ردنا لأدلة الاتجاه العقلي في نفي الشفاعة، فلا حاجة لتكرارها ثانية[(٢)]، والآيات التي تثبت الشفاعة هي:

١- قول الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

٢- قول الله تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يُونس: ٣].

---

(١) حول فتنة نفي الشفاعة عن رسول الله ﷺ: د. محمد محمود سعيد: ٥٧- ٥٨.

(٢) انظر للتوسع: الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ١٩- ٢٥، الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٥٥- ٥٦.

٣- قول الله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٧].

٤- قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

٥- قول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٦- قول الله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦].

٧- قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

٨- قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

هذه الآيات كلها تدل أن الشفاعة ثابتة لمن أذن له الله، واتخذ عنده عهداً، ورضي له قولاً، من ملائكته، وأنبيائه، وأوليائه، وشهدائه، فالشفاعة بهذه الآيات المحكمة عند الله تعالى، هي تشريف وتكريم لمن أذن له بها[١]، ولا تناقض بين الآيات التي تثبت الشفاعة والآيات التي تنفيها؛ لأن الجهة منفكَّة، فالثابتة توفر لها شرط الشفاعة، ولها حقيقة ووجود، والمنفية لم يتوفر لها ذلك، ولا حقيقة لها ولا وجود[٢].

وقد أثبت الشيعة الإمامية الشفاعة، واستدلوا عليها بجميع الآيات التي ذكرناها آنفاً، وأنها مشروطة بإذن الله تعالى[٣].

٩- قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٩].

---

(١) الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ٢٥- ٢٧.

(٢) الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٥٦- ٥٨.

(٣) انظر للتوسع: الشفاعة في الكتاب والسنة: جعفر السبحاني: ٢٢- ٢٦، معاونية التعليم والبحوث الإسلامية: طهران.

وخير تفسير لهذه الآية[١]؛ هو ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: «**إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثاً**[٢]**، كل أمة تبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع؛ حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**»[٣]؛ وهذا الحديث يبين النوع الأول من الشفاعة، وهي الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا محمد ﷺ، من بين الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهذه الشفاعة تكون لكل الناس أجمع، حين يشتد عليهم الأمر ويطول بهم الوقوف في المحشر، للانصراف من هذا الموقف إلى فصل القضاء في أمرهم[٤].

١٠- قول الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]. وقد روى علي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم[٥]: «أن ما يرضي النبي ﷺ هو إعطاؤه الشفاعة في أمته»[٦].

ثانياً: السنة النبوية:

وردت أحاديث كثيرة في إثبات الشفاعة، فهناك مثلاً (١٠٣) أحاديث في إثبات الشفاعة بكل أنواعها في الكتب التسعة[٧]، وسأذكر بعض الأحاديث في ذلك:

---

(١) انظر للتوسع: الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ٣٢- ٣٧، الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٣٠، الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ١٨- ٢٢.

(٢) أي جماعة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ١٣٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً، (الحديث: ٤٧١٨): ٣/ ٢٥٢.

(٤) الشفاعة عند الله يوم القيامة وتصحيح لما كتبه الدكتور مصطفى محمود: د. محمد مجاهد نور الدين: ٦٦- ٦٩.

(٥) انظر: الشفاعة عند المسلمين من خلال التفسير القرآني والحديث النبوي: د. حسيب عبد الحليم شعيب: ٣٢.

(٦) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين محمد بن عمر الرازي: ٣١/ ٢١٣، دار الفكر: بيروت.

(٧) انظر للتوسع: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي: أ. ي. ونسنك، ي. ب. منسنج: ٣/ ١٤٧- ١٥٣.

١- ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلّت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»**(١).

٢- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»**(٢).

٣- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله، من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً»**(٣).

٤- حديث أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: كنت في المسجد، فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه... وفيه: **يا أبيّ، أُرسل إليّ أنِ أقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فردّ إليّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه: أن هوِّن على أمتي، فرد إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم»**(٤).

---

(١) رواه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: قول النبي ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، (الحديث: ٤٣٨): ١/ ١٥٨، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، (الحديث: ٥٢١): ٣٧٠- ٣٧١.

(٢) رواه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، (الحديث: ٢٢٧٨): ٤/ ١٧٨٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، (الحديث: ٦٣٠٤): ٤/ ١٥٣، ورواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته، (الحديث: ١٩٩): ١/ ١٨٩، واللفظ له.

(٤) رواه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، (الحديث: ٨٢٠): ١/ ٥٦١- ٥٦٢.

٥- ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتحشوا[١] وعادوا حمماً[٢]، فيُلقون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحِبّة في حميل[٣] السيل، أو قال: حمية السيل، ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية**»[٤].

٦- ما رواه عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ فيدخلون الجنة، يسمون الجُهنميين**»[٥].

٧- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «**لقد ظننت يا أبا هريرة؛ أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، ومن قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قبل نفسه**»[٦].

٨- ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً**»[٧].

---

(١) أي احترقوا، والمَحش: احتراق الجلد وظهور العظم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٨٤٤.

(٢) أي متفحمين. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢٣٦.

(٣) هو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم، بعد إحراق النار لها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٢٣٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة، (الحديث: ٦٥٦٠): ٤/ ٢٠١، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، (الحديث: ١٨٤): ١/ ١٧٢.

(٥) رواه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (الحديث: ٦٥٦٦): ٤/ ٢٠٢-٢٠٣.

(٦) رواه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: صفة الجنة والنار، (الحديث: ٦٥٧٠): ٤/ ٢٠٣.

(٧) رواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: أنا أول الناس يشفع في الجنة، (الحديث: ١٩٦): ١/ ١٨٨.

٩- حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها[١] وجهدها، إلا كنت له شفيعاً، أو شهيداً يوم القيامة**»[٢].

بهذه الأحاديث النبوية الوفيرة، وتناقل المسلمين لها عبر العصور، وإثباتهم لها في الصدور والسطور عقيدة، ثبتت شفاعة رسول الله ﷺ للمذنبين من هذه الأمة، فمن خالف في ذلك فقد جانب الصواب، وسلك طريق السراب، وخالف في فهم السنة والكتاب أولي النهى والألباب، لكن من يدخل النار فإن القرار الذي يبقاه فيها غير معلوم، لا يعلمه إلا الله، والذنب خطره عظيم، وربنا غفور رحيم، وعقابه شديد أليم[٣].

ثالثاً: المعقول[٤]:

١- العقل يجيز للسيد إسقاط العقوبة عن عبده إن شاء، فضلاً منه وتكرماً، ويجيز للوالد إسقاط العقوبة عن ابنه متى شاء رحمة منه وتلطفاً.

٢- العقل لا يجيز التسوية بين من لم يعترف بالسلطان من أساسه، ومن أساء من رعيته إساءة ما في وقت ما.

٣- العقل لا يستسيغ أن يضيع السيد ثمرة عمل عبد له خدمه بإخلاص طول عمره بخطيئة واحدة ارتكبها، فإن سوابقه تشفع له.

٤- العقل لا يستبعد أن يكرم السيد بعض أهل الفضل من رعيته، فيقبل شفاعتهم فيمن يشفعون فيه، بإسقاط بعض المطالبات عنهم، أو إرضاء بعض خصومهم، أو تخفيف بعض عقابهم، فيما هو من حق السيد، أو غيرهما.

---

(١) أي شدتها وضيق معيشتها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٨١٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب: الحج، باب: فضل المدينة، (الحديث: ١٣٦٣): ٢/ ٩٩٢.

(٣) انظر للتوسع: الشفاعة في القرآن والسنة وعقيدة المسلمين: د. فاروق حمادة: ٣٨- ١١١، الشفاعة في الكتاب والسنة: جعفر السبحاني: ٨٠- ٩٠.

(٤) الشفاعة في الآخرة بين النقل والعقل: د. يوسف القرضاوي: ٢٣- ٢٤.

المبحث الثاني

رأي الاتجاه العقلي في مسألة سحر النبي ﷺ

كنموذج لأحاديث السيرة

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد حديث سحر النبي ﷺ:

لقد تبنّى هذا الاتجاه إنكار سحر النبي ﷺ ؛ لغلبة المنحى العقلي على تفكيرهم، وادعاء منهم أن سحر النبي يتنافى مع عصمته ومقام نبوته؛ وبكون الحديث الوارد فيه آحاداً؛ وفي هذا المبحث سأعرض لأقوالهم وأدلتهم ورد العلماء عليهم.

أولاً: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في رد حديث سحر النبي ﷺ[1]:

إن الأصل في هذا الرأي؛ ما قال به المعتزلة[2]، وأبو بكر الجصاص[3]، ثم تبعهم في ذلك علماء الاتجاه العقلي، ومن تأثر بهم من أصحاب الاتجاه المنحرف؛ وفيما يلي بيان ذلك:

الأول: أقوال أصحاب الاتجاه العقلي في رد حديث سحر النبي ﷺ:

١- قال الشيخ محمد عبده: «الذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته، وعدم

---

(١) المراد به شرعاً: «هو مختص بكل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيد، أفاد ذم فاعله». انظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي: ٣/ ٢٢٢.

(٢) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: فخر الدين الرازي: ٣٢/ ١٨٧.

(٣) أحكام القرآن: أبو بكر الجصاص: ١/ ٤٩.

الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء ينفي السحر عنه عليه السلام؛ حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً، وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في باب العقائد، وعصمة النبي ﷺ من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون»[١].

٢- مال أ. سيد قطب إلى التشكيك في صحة حديث سحر النبي ﷺ معللاً ذلك بأنه من الآحاد فقال: «وأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في أمر العقيدة، والمرجع هو القرآن، والتواتر شرط للأخذ بالأحاديث في أصول العقائد، وهذه الروايات ليست من المتواتر»[٢].

وهذا ما قال به الشيخ جمال الدين القاسمي[٣]، والشيخ محمد علي السايس[٤]، والشيخ علي حسب الله[٥]، والشيخ محمد أبو زهرة[٦]، والشيخ محمد عزة دروزة[٧]، والشيخ محمد الغزالي[٨]، ود. صلاح الدين بن أحمد الإدلبي[٩]، ود. محمود عكام[١٠]، وأ. جمال البنا[١١]، ود. أحمد حجازي السقا[١٢]، والشيخ

(١) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د. محمد عمارة: ٥/ ٥٤٤.
(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦/ ٤٠٠٨.
(٣) محاسن التأويل: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي: ١٧/ ٦٣٠٩، طبع عيسى البابي الحلبي: القاهرة.
(٤) تفسير آيات الأحكام: الشيخ محمد علي السايس: ١/ ١٨، طبع محمد علي صبيح: القاهرة.
(٥) أصول التشريع الإسلامي: الشيخ علي حسب الله: ٧٣- ٧٤، دار المعارف: القاهرة.
(٦) حديث السحر في الميزان: د. سعد المرصفي: ٣٦، مكتبة المنار الإسلامية: الكويت.
(٧) محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم: د. فريد مصطفى سليمان: ١٠٥، ٢١٣، اتجاهات التفسير في العصر الحديث في مصر وسوريا: د. فضل حسن عباس: ٥٧٦- ٥٧٧.
(٨) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث: محمد الغزالي: ٧٦، دار الشروق: القاهرة.
(٩) منهج النقد عند علماء الحديث النبوي: د. صلاح الدين بن أحمد الإدلبي: ٢٥٥- ٢٥٧.
(١٠) سمعت منه هذا الرأي في إحدى محاضراته التي ألقاها على طلبة دبلوم التأهيل التربوي في جامعة حلب عام ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.
(١١) نحو فقه جديد: أ. جمال البنا: ٢/ ٢٣٧.
(١٢) دفع الشبهات عن الشيخ محمد الغزالي: د. أحمد حجازي السقا: ٢٤٢- ٢٤٣.

علي الطنطاوي، وأ.مصطفى محمد الحديدي[١]، والشيخ محمد أمين شيخو[٢]، ود.مصطفى محمود[٣].

الثاني: أقوال أصحاب الاتجاه المنحرف في رد حديث سحر النبي ﷺ:

١- قال د.أحمد صبحي منصور: «اتهام الرسول ﷺ بالسحر، أو بأن بعضهم سحره، فيه تشكيك في الرسالة، وطعن في الدين، ويفقد المصداقية في أي قول أو فعل يصدر منه، ومنه يدخل باب الشك في الإسلام جملة وتفصيلاً»[٤].

٢- قال صالح الورداني: «وتأتي قضية السحر لتؤكد لنا مدى هامشية شخصية الرسول ﷺ في نظر أهل السنة، ومدى إهمال الوحي له، حتى إن بعض السحرة يسحرونه ويسيطرون عليه، فيفعل الشيء ولا يفعله، أي يتخيل فعل الشيء، وهذا يعني أن الساحر قد هيمن على الرسول ﷺ نفسياً، ومن الممكن أن يقول على لسانه ما يشاء، ومرة أخرى يطرح السؤال: أين دور الوحي؟»[٥].

وهذا ما قال به محمود أبو رية[٦]، والسيد صالح أبو بكر[٧]، وسامر إسلامبولي[٨]، وأحمد حسين يعقوب[٩].

---

(١) عذاب القبر في الميزان: دراسة وافية نقلية وعقلية: عكاشة عبد المنان الطيبي: ١٨٤، دار الاعتصام: القاهرة.

(٢) حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين: محمد أمين شيخو: ٣٢.

(٣) الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٣١.

(٤) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ١٠٩- ١١١.

(٥) أهل السنة شعب الله المختار: صالح الورداني: ٦٨- ٧٠، دار الهدف: القاهرة.

(٦) أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣٥١.

(٧) السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د.عماد السيد الشربيني: ٢/ ٣١٢.

(٨) تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم: سامر إسلامبولي: ١٧٣- ١٧٤، دار الأوائل: دمشق.

(٩) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة: د.عماد السيد الشربيني: ٢٤٥، دار الصحيفة: القاهرة.

ثانياً: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في رد حديث سحر النبي ﷺ:

استدل هؤلاء في إنكار حديث سحر النبي ﷺ بالعقل، وذلك من خلال الأمور التالية:

الأول: أن هذا الحديث يحط من منصب النبوة والرسالة، ويشكك ويقدح فيهما، ويتعارض مع عصمة النبي ﷺ، وكل ما أدى إلى هذه الأمور فهو باطل، فالحديث باطل[١].

الثاني: الحديث على فرض صحته فهو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها، وعصمة النبي ﷺ من تأثير السحر في عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون[٢].

الثالث: الذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ، فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء ينفي السحر عنه ﷺ؛ حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه، ووبخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، فحديث السحر يتعارض مع هذه الآية، وبالتالي فالحديث غير صحيح[٣].

الرابع: نزول هاتين السورتين ـ الفلق والناس ـ[٤] في مكة هو الراجح؛ يُضعف حديث سحر النبي ﷺ[٥].

---

(١) لماذا القرآن؟: د.أحمد صبحي منصور: ١٠٩- ١١١، أهل السنة شعب الله المختار: صالح الوردان: ٦٨- ٧٠، محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي: ١٧/ ٣٠٤، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم: سامر إسلامبولي: ١٧٣- ١٧٤.

(٢) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د.محمد عمارة: ٥/ ٥٤٤، أصول التشريع الإسلامي: علي حسب الله: ٧٣- ٧٤، أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية: ٣٥١.

(٣) الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده: د.محمد عمارة: ٥/ ٥٤٣- ٥٤٤، محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي: ١٧/ ٦٣٠٨- ٦٣٠٩، الشفاعة: محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين: د.مصطفى محمود: ٣١، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم: سامر إسلامبولي: ١٧٤.

(٤) المقبول من أسباب النزول: د.نادي بن محمود حسن الأزهري: ٧٢٥، مطبعة الأمانة: القاهرة.

(٥) في ظلال القرآن: سيد قطب: ٦/ ٤٠٠٨.

الخامس: السحر من عمل الشيطان، والنفوس الخبيثة الشريرة، فهل في عقول الداسين على رسول الله ﷺ عماء؟، وهل في أفكار المضلين غباء حتى أدخلوا هذه الدسوس من أن للشيطان على رسول الله ﷺ سلطاناً حتى يمرضه؟![1].

السادس: أن علماء الحديث قد استغرقوا الجهد في التثبت من صحة السند والرواية بمختلف الضمانات، لم يجدوا حاجة حتى لإلقاء نظرة على المتن، وفاتتهم عشرات الأسباب يمكن أن تطرأ على الحديث، مع وجود ضماناتهم تلك، وتكون مبرر لعدم الأخذ به، وكانت نتيجة هذا التركيز على السند إهمال المتن، فلم يروا أن مجافاة المتن للعقل أو الطبع السليم، أو حتى ما ينبغي للقرآن الكريم، ولرسوله من قداسة، مبرراً لنبذه، وهكذا أقروا أن النبي ﷺ قد سُحر، سحره يهودي، ومعالجتهم للروايات التي نقلت هذا الزعم توضّح هيمنة الإسناد[2].

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات سحر النبي ﷺ والرد على أدلة الاتجاه العقلي:

أولاً: أدلة العلماء في إثبات سحر النبي ﷺ:

استدل علماء المسلمين على إثبات سحر النبي ﷺ من الحديث الصحيح الصريح، وذلك بما يلي:

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: سَحَر رسول الله ﷺ رجل من بني زُريق، يقال له: لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه كان يفعل الشيء، وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة، وهو عندي، لكنه دعا ودعا، ثم قال: «**يا عائشة، أشَعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟؛ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجليّ، فقال أحدهما لصاحبه: ما وجَع الرجل؟**

(١) انظر للتوسع: حقيقة سيدنا محمد ﷺ تظهر في القرن العشرين: محمد أمين شيخو: ٣٢-٣٦.

(٢) الإسلام والعقلانية: أ. جمال البنا: ٣٨- ٣٩، دار الفكر الإسلامي: القاهرة، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم: سامر إسلامبولي: ١٧٤.

فقال: مطبوب[١]، قال: من طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مُشط، ومُشاطة، وجُفّ طلْع[٢] نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال: في بئر ذَرْوان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة، كأن ماءها نُقَاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله، أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله، فكرهت أن أثير عليّ الناس فيه شراً، فأمر بها فدُفِنت»[٣].

قال الإمام المازري: «مذهب أهل السنة، وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة؛ خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى

---

(١) أي مسحور. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ٥٤٦.

(٢) أي وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير الجزري: ١٥٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب: الطب، باب: السحر، وفي باب: هل يستخرج السحر؟، (الحديث: ٥٧٦٣، ٥٧٦٥، ٥٧٦٦): ٤/ ٤٨- ٤٩، وفي كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، (الحديث: ٣٢٦٨): ٢/ ٤٣٧، وفي كتاب: الدعوات، باب: تكرير الدعاء، (الحديث: ٦٣٩١): ٤/ ١٧٠، وفي كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: «إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»، النحل: ٩٠، (الحديث: ٦٠٦٣): ٤/ ١٠٣، وفي كتاب: الجزية والموادعة، باب: هل يعفى عن الذمي إذا سحر؟، (الحديث: ٣١٧٥): ٢/ ٤١٣، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: السلام، باب: السحر، (الحديث: ٢١٨٩): ٤/ ١٧١٩- ١٧٢٠، ورواه النسائي في السنن الكبرى في كتاب: الطب، باب: السحر، (الحديث: ٧٦١٥): ٤/ ٣٨٠، ورواه ابن ماجه في كتاب: الطب، باب: السحر، (الحديث: ٣٥٤٥): ٥/ ١٨٢- ١٨٣، ورواه أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها، (الحديث: ٢٤٣٠٠): ٤٠/ ٣٤٣- ٣٤٤، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: التاريخ، باب: كتب النبي ﷺ، (الحديث: ٦٥٨٣): ١٤/ ٥٤٥- ٥٤٦، ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده، (الحديث: ٤٨٨٢): ٨/ ٢٩٠- ٢٩٢، ورواه الحميدي في مسنده، (الحديث: ٢٥٩): ١/ ١٢٥- ١٢٧، عالم الكتب: بيروت، ورواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: القسامة، باب: من قال: السحر له حقيقة، (الحديث: ١٦٤٩٤): ٨/ ٢٣٢، ورواه الحاكم في مستدركه في كتاب: الحدود، (الحديث: ٨٠٧٤): ٤/ ٣٦٠- ٣٦١، ورواه الطبراني في المعجم الكبير، (الحديث: ٥٠١١- ٥٠١٢): ٥/ ٢٠١.

حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله تعالى في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له»[(١)].

ثانياً: الرد على أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في إنكار حديث سحر النبي ﷺ:

الأول: الرد على شبهة أن سحر النبي ﷺ يحط من منصب النبوة والرسالة، وعصمة النبي ﷺ:

١- إجماع المسلمين - وهو الحق - قد انعقد على وجوب عصمة الأنبياء مما يخل بالتبليغ؛ نحو عصمتهم من تسلّط الشيطان على خواطرهم بالوساوس، أو تصور الشيطان لهم في صورة الملك، إذ لا سبيل للشيطان على الأنبياء عليهم السلام، وهم معصومون أيضاً مما يخل بالتبليغ، كالكفر وسائر المعاصي[(٢)].

٢- أن النبي ﷺ معصوم من ترك بيان ما أُمِر ببيانه، وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه، وليس معصوماً من الأمراض العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته، والسحر يعتبر من جملة الأمراض[(٣)].

٣- وكل ما جاء في الروايات: «**من أن رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله**»[(٤)]، أو «**يخيل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتي**»[(٥)]، فمحمول على التخيل بالبصر، لا لخلل تطرّق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبساً

---

(١) المعلم بفوائد مسلم: المازري: ٣/ ١٥٨.

(٢) انظر للتوسع: حجية السنة: د. عبد الغني عبد الخالق: ٩٦- ١٠٨، دار الوفاء: المنصورة، عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم: د. محمد أبو النور الحديدي: ١٣٢ وما بعدها، مطبعة الأمانة: القاهرة.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٠/ ٢٣٧، صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٢٥١.

(٤) رواها البخاري في كتاب: الطب، باب: السحر، (الحديث: ٥٧٦٣): ٤/ ٤٨.

(٥) رواها البخاري في كتاب: الأدب، باب: قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، (الحديث: ٦٠٦٣): ٤/ ١٠٣.

على تبليغه أو شريعته، أو يقدح في صدقه؛ لقيام الدليل والإجماع على عصمته من هذا[١].

ثم إنه لم يرد أنه ﷺ تكلم بكلمة واحدة في أثناء مدة السحر تدل على اختلال عقله ﷺ، ولا أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به[٢].

وبالتالي فلا يكون هناك إخلال بنبوة ورسالة وعصمة النبي ﷺ، وينهار ما استشكله المنكرون للحديث النبوي الشريف[٣].

الثاني: الرد على شبهة أن حديث سحر النبي ﷺ آحاد، والحديث الآحاد لا يؤخذ به:

فهي شبهة قديمة حديثة، والأخبار طافحة باحتجاج الأئمة بخبر الواحد والعمل به من غير نكير، وهي شبهة مردودة بما أثبتّه من حجية خبر الواحد في الفصل الثاني من هذا الباب.

الثالث: الرد على شبهة أن حديث سحر النبي ﷺ متعارض مع قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسرَاء: ٤٧]:

١- إن المشركين لم يريدوا بقولهم هذا أن النبي ﷺ سحر؛ حتى أدركه بعض التغيير أياماً، ثم شفاه الله، وإنما أرادوا أنه يصدر عن خيال وجنون في كل ما يقول وما يفعل، وأن ما جاء به ليس من الوحي، فغرضهم إنكار رسالته، ورميه بالجنون؛ وهذا أمر واضح جلي لكل من تتبع الآيات القرآنية التي تعرضت لهذا، فالغرضان مختلفان، والموضوعان متباينان[٤].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٤/ ٢٥١- ٢٥٢، إكمال المعلم بفوائد مسلم: القاضي عياض بن موسى اليحصبي: ٧/ ٨٨.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني: ١٠/ ٢٣٨.

(٣) انظر للتوسع: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين: د. محمد بن محمد أبو شهبة: ٢٢٤- ٢٢، دار الجيل: بيروت، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها: عبد الله بن علي النجدي القصيمي: ٦٠- ٦٢، دار القلم: بيروت، الرسول والوحي: د. محمد سيد أحمد المسير: ٣١٨، دار ابن كثير: دمشق.

(٤) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين: د. محمد أبو شهبة: ٢٢٥، =

٢- إن واقعة هذا السحر كانت في العام السابع للهجرة؛ أي بعد البعثة بعشرين سنة، وادعاء المشركين أنه ﷺ مسحور كان في العهد المكي، مما يدل على أن كل موضوع يختلف عن الآخر، والآية لا صلة لها بموضوع سحر النبي ﷺ[(١)].

٣- إذا كان الحديث يصدق المشركين في قولهم: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، فإن الكفار كانوا يقولون: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، فهل نكذبهم؟ فالمشركون كانوا يقولون أقوالاً كثيرة صادقة، فهل نكذبهم فيها لئلا نكون مصدقين للكفار؟ ما قال هذا أحد، بل الصدق يجب أن يصدق، والكذب يجب أن يكذب، سواء أكان هذا أم ذاك من كافر أم من مسلم، وإنما معنى ذلك أن الظالمين كانوا ينسبون إلى النبي ﷺ كل ما يظنونه قادحاً في رسالته وصدقه، وإن كان واقعاً حقاً لا يقدح فيه كما ظن هؤلاء أن سحر النبي ﷺ يقدح في الرسالة، فكذبوا الأخبار فيه، وهذا الظن خطأ[(٢)].

الرابع: الرد على شبهة أن حديث سحر النبي ﷺ كان بالمدينة ونزول سورة الفلق والناس كان بمكة:

١- السور المختلف في مكيتها ومدنيتها اثنتا عشرة سورة؛ منها: المعوذتان[(٣)]، وما دامت المسألة خلافية، فلا يصح الاستدلال على رد الحديث بقول على

= مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها: القصيمي: ٥٩-٦٠، حديث السحر النبوي بين حجة النقل وجدل العقل: رضا بن زكريا حميدة: ٨٤- ٨٥.

(١) الرسول والوحي: د.محمد سيد أحمد المسير: ٣١٨، اكتساب المناعة في إثبات الشفاعة: أمير فتوح عبد العليم شيشي: ٥٥.

(٢) مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها: القصيمي: ٥٨- ٥٩، حديث السحر في الميزان: د.سعد المرصفي: ٤٢- ٤٣، رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة: د.عماد السيد الشربيني: ٢٥١.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: ١/ ١٩٨، دار إحياء الكتب العربية: القاهرة.

قول آخر، وإذا كان بعضهم يرجّح أن المعوذتين مكيّتان، فقد رأى غيره ترجيح كونهما مدنيتين.

٢- على فرض أن المعوذتين مكيتان كما رجّحه بعضهم، فما المانع أن تكون السورتان علاجاً للسحر عموماً، ولسحر رسول الله خصوصاً؟[١].

الخامس: الرد على شبهة أن السحر من عمل الشيطان وهو لا يناسب مقام النبوة:

١- هذه الشبهة مردودة بما ورد في القرآن من آيات تثبت تعرّض الشيطان للأنبياء بأنواع الإفساد والإغواء، ومع ذلك عصمهم الله تعالى بعدم تمكّنه من إغوائهم، أو إلحاق ضرر بهم يضر بالدين، فقد قال الله تعالى في حق سيدنا أيوب عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص: ٤١]، وقوله تعالى في حق آدم عليه السلام وزوجته: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦]، ومن هنا لا يلزم من وقوع السحر في حق الأنبياء، إضلالهم وإغوائهم، فإن ذلك ظن فاسد، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه: ٦٦-٦٩]، فقد صرحت الآيات بأن سحر أولئك السحرة، قد أوقع سيدنا موسى عليه السلام في التخييل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الحبال حيات، وقد عصمه الله تعالى بالوحي إليه بعدم الخوف[٢].

٢- أن إذن الله تعالى في تأثير السحر في ظاهر جسده ﷺ لحكمة يعلمها، وهي:

أ- ابتلاء رسول الله ﷺ بذلك ليصبر، ويكون أسوة حسنة لمن يصاب بمثل ذلك، وهو تعليم لأمته.

---

(١) حديث السحر النبوي بين حجة النقل وجدل العقل: رضا بن زكريا حميدة: ٨٨- ٨٩.

(٢) رد شبهات حول عصمة النبي ﷺ في ضوء الكتاب والسنة: د. عماد السيد الشربيني: ٢٥٢، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها: القصيمي: ٦٢- ٦٤، مشكلات الأحاديث والجمع بين النصوص المتعارضة: جماعة من نوابغ العلماء: ٢٠٣، مكتبة المتنبي: القاهرة.

ب ـ التأكيد على بشريته حتى لا يغلو فيه بعض أفراد أمته، كما غالى النصارى في عيسى عليه السلام.

ج ـ الالتزام بكثرة الدعاء في مثل هذه الحالة؛ حتى يفرج الله تعالى هذه الكربة.

د ـ الرقية وتكون بتلاوة سورتي الفلق والناس[١].

السادس: الرد على شبهة أن علماء الحديث نقدوا سند حديث سحر النبي ﷺ دون متنه:

هذه الشبهة أول من أثارها هم المستشرقون[٢]، ثم تبعهم في ذلك بعض المسلمين[٣]، والرد عليها بما يلي:

١- إن نقد الإسناد والرجال، وتقنين الرواية، جعل المتن مصاناً، ولم يتداول المحدِّثون إلا ما صح منه، فلم تدع الحاجة إلى نقد المتن بمثل نقد الإسناد.

٢- تم تحديد مقاييس من طرف المحدثين في نقد متن الحديث، تتمثل في عرض الحديث على القرآن الكريم، ومقارنة روايات الحديث بعضها ببعض، وعرضه على الوقائع والمعلومات التاريخية، وعرضه على المسلمات العقلية[٤].

---

(١) حديث السحر النبوي بين حجة النقل وجدل العقل: رضا بن زكريا حميدة: ٩١- ٩٢، ١٣٤، دفع الشبهات عن السنة النبوية: د. عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي: ٩٣- ٩٤، مكتبة الإيمان: القاهرة، السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام: مناقشتها والرد عليها: د. عماد السيد الشربيني: ٢/ ٣١٨.

(٢) انظر للتوسع: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: د. محمد لقمان السلفي: ٤٦٧- ٤٧١، دار الداعي: الرياض، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف: د. محمد طاهر الجوابي: ٤٤٩- ٤٥١، مؤسسة عبد الكريم ابن عبد الله: تونس.

(٣) انظر للتوسع: اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: د. محمد لقمان السلفي: ٤٧١- ٤٧٣، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف: د. محمد طاهر الجوابي: ٤٥١- ٤٥٢.

(٤) جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف: د. محمد طاهر الجوابي: ٤٥٣، ٤٥٦، نقد المتن بين صناعة المحدثين ومطاعن المستشرقين: د. نجم عبد الرحمن خلف: ٣٠- ٤٠، مكتبة الرشد: الرياض.

٣- إن عدد علامات نقد المتن أكثر من عدد علامات نقد السند.

٤- لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن، فقد يكون السند صحيحاً دون المتن لما فيه من شذوذ أو علة.

٥- لا يمكن الاعتماد على النظر في المتن وحده.

٦- القرارات التي اتخذها النقاد حول الرواة، وعدم قبول رواياتهم لم تكن نتيجة النظر في أحوالهم الشخصية الفردية، وإنما كانت نتيجة النظر في المتون الغريبة التي رويت بواسطتهم[1].

(١) اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ودحض مزاعم المستشرقين وأتباعهم: د. محمد لقمان السلفي: ٤٧٦.

obeikandl.com

المبحث الثالث

رأي الاتجاه العقلي في مسألة حد الردة كنموذج لأحاديث الأحكام

المطلب الأول: رأي أصحاب الاتجاه العقلي وأدلتهم في رد أحاديث حد الردة:

لقد تبنّى هذا الاتجاه إنكار أحاديث حد الردة؛ لغلبة المنحى العقلي على تفكيرهم، وادعاءً منهم أنه يتنافى مع حرية الاعتقاد والتفكير، وبكون الحديث الوارد فيه آحاداً؛ وفي هذا المبحث سأعرض لأقوالهم وأدلتهم ورد العلماء عليهم.

أولاً: رأي أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث حد الردة[1]:

وسأذكر هنا أهم أقوال هذا الاتجاه في ذلك، ثم أورد من تأثر بهم من أصحاب الاتجاه المنحرف:

الأول: أقوال أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث حد الردة:

١- قال الشيخ محمد رشيد رضا: «لا يوجد في القرآن نص بقتل المرتد»[2].

٢- قال أ. جمال البنا: «نحن نرفض رفضاً باتاً، قلباً وقالباً، كل فكرة عن تكفير مرتد، أو إقامة حد عليه، أو تعزير، بل نحن نرفض مبدأ التكفير أصلاً من باب عدم الاختصاص، ونرى أن الادعاءات عن حد للمرتد لا تقوم على قرآن أو سنة؛ ولكنها من وضع الفقهاء، طبقاً لاجتهاداتهم، وفي ضوء ظروف معينة تحكّمت فيهم»[3].

---

(١) الردة: «هي رجوع المسلم، العاقل البالغ، عن الإسلام إلى الكفر، باختياره دون إكراه من أحد، سواء في ذلك الذكور والإناث». انظر: الردة: الشيخ السيد سابق: ٣، دار الفتح للإعلام العربي: القاهرة.

(٢) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ٥/ ٢٦٦.

(٣) كلا ثم كلا، كلا لفقهاء التقليد كلا لأدعياء التنوير: جمال البنا: ٦٢.

وهذا ما قال به الشيخ محمود شلتوت[١]، ود. محمد سليم العوا[٢]، ود. محمد عمارة[٣]، ود. طه جابر العلواني[٤]، ود. حسن الترابي[٥]، ود. رضوان السيد[٦]، ومحمد جلال كشك[٧].

الثاني: أقوال أصحاب الاتجاه المنحرف في رد أحاديث حد الردة:

١- قال د. أحمد صبحي منصور: «قام حد الردة المزعوم على مجرد حديثين، أثبتنا كذبهما بمعايير الجرح والتعديل، ومن خلال أدلة من كتب التراث نفسها، كما أثبتنا من قبل تناقضهما مع تشريع الإسلام الحقيقي في القرآن؛ الذي هو الفيصل في سنة الرسول ﷺ»[٨].

٢- قال محمد منير إدلبي: «هكذا يتبين معنا أن الحديث الشريف أيضاً؛ يؤكد عدم حل قتل المرتد، وهو يؤيد بذلك القرآن الكريم، وها نحن نجد بكل وضوح ساطع كالشمس في رابعة النهار، أن الله تعالى لم يأمر بقتل المرتد، وأن رسوله ﷺ أيضاً لم يشرع قتل المرتد، وهذا يعني أن الإسلام قد اعتبر قتل المرتد جريمة»[٩].

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: ٢٨٠- ٢٨١.

(٢) الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ١٧٨، دار الفكر الإسلامي: القاهرة، النظرية السياسية الإسلامية في حقوق الإنسان الشرعية: دراسة مقارنة: د. محمد أحمد مفتي، د. سامي صالح الوكيل: ١٠٧، العدد (٢٥)، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠)، كتاب الأمة: الدوحة.

(٣) التفسير الماركسي للإسلام: د. محمد عمارة: ١١، دار الشروق: القاهرة.

(٤) لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د. طه جابر العلواني: ٨٤، مكتبة الشروق الدولية: القاهرة.

(٥) التراث الإسلامي بين تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين: د. الحسن العلمي: ٢١١- ٢١٢، مكتبة التراث الإسلامي: القاهرة، تجديد الفكر الإسلامي: د. الحسن العلمي: ٢٣٣.

(٦) التراث الإسلامي بين تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين: د. الحسن العلمي: ٢٠٨.

(٧) محاكمة المرتدين: أحمد السيوفي: ٤٧.

(٨) حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د. أحمد صبحي منصور: ٨٨.

(٩) قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١١٧.

وهذا ما قال به د. محمد توفيق صدقي[١]، ومحمد سعيد العشماوي[٢]، ود. سيد القمني[٣]، وحسن غريب[٤]، ود. رفعت السعيد، ود. محمد أحمد خلف الله، وعبد الستار طويلة[٥].

ثانياً: أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في رد أحاديث حد الردة:

استدل هؤلاء على إنكار أحاديث الردة بالعقل، وذلك من خلال الأمور التالية:

الأول: أن القرآن الكريم لم يرتب عقوبة دنيوية للمرتد مما يتعارض مع أحاديث الردة:

أشار القرآن إلى عدد من الآيات للارتداد عن الإسلام؛ دون ترتيب عقوبة دنيوية على المرتد، ومن ذلك ما يلي:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٢- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩].

٣- قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

٤- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥].

---

(١) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥٢٣، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م)، مطبعة المنار: القاهرة.

(٢) أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي: ١٢٧، مكتبة مدبولي: القاهرة.

(٣) بحث: حد الردة والتجديد في الفقه الإسلامي: د. سيد القمني: ٥١- ٥٤، العدد (٢٢)، (٢٠٠٢م)، مجلة الكشكول: بيروت.

(٤) الردة في الإسلام: قراءة تاريخية وفكرية في الأصول والاتجاهات والنتائج: حسن غريب: ٦٥، ٤٧٧، دار الكنوز الأدبية: بيروت.

(٥) محاكمة المرتدين: أحمد السيوفي: ٨٨، ٩٣، ١٠١.

٥- قول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

٦- قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥].

والآيتان الأخيرتان لم تستخدما فعل ارتد، ولكنها تضمنت نفس المعنى، وهذه الآيات صريحة في إشارتها إلى الردة بعد الإسلام، ومع هذا فلم تشر أقل إشارة إلى عذاب دنيوي، أو حد يوقع على المرتد؛ كما يوقع على السارق أو القاتل، وإنما كان العقاب المروّع المخوّف هو غضب الله..[(١)]، إذاً لا يوجد في القرآن نص بقتل المرتد[(٢)].

٧- قول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

٨- قول الله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وأن ظواهر القرآن الكريم في كثير من الآيات؛ تأبى الإكراه على الدين[(٣)].

الثاني: الحدود لا تثبت بحديث الآحاد، وبالتالي لا يصح إقامة حد الردة بأحاديث آحاد[(٤)].

---

(١) الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ٣٥- ٣٦، ١٤٢، ١٧٦- ١٨٠، الردة في الإسلام: حسن غريب: ٣٩- ٤٧.

(٢) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ٥/ ٢٦٦، لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د. طه جابر العلواني: ٥٥- ٦٣.

(٣) مجلة المنار: بحث الإسلام هو القرآن وحده: د. محمد توفيق صدقي: ٩/ ٥٢٣، (١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م)، الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: ٢٨١، أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي: ١٢٨، حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د. أحمد صبحي منصور: ٤٠- ٤٤، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ٤٩- ٥٥، ٩١- ١٠٤.

(٤) الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: ٢٨١، تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ٥/ ٢٦٦، لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د. طه =

الثالث: أن الكفر بنفسه ليس مبيحاً لتطبيق حد الردة؛ وإنما المبيح لتطبيق حد الردة هو إما محاربة المرتد للمسلمين، والعدوان عليهم، ومحاولة فتنتهم عن دينهم، لا للردة نفسها، أي قيام المحاربة جنباً إلى جنب مع الارتداد[١]، وإما بمعنى أن قتل المرتد كان له سبب سياسي اجتماعي؛ كمنع العبث بالإسلام[٢]، وإما قتل المرتد يكون بعقوبة تعزيرية مفوضة إلى الحاكم، أي يباح قتله ولا يجب، وبالتالي لا تعتبر الردة حداً من الحدود[٣].

الرابع: النص النبوي يمكن أن يلحق به التغيير؛ فهو قد يكون محكوماً بمرحلة، أو ظرف، أو موقف، تقتضيه مصلحة الدفاع عن قيم، أو مصالح عامة في ظرف من الظروف الخاصة، وبالتالي فإن قتل المرتد يخضع لهذه الظروف؛ وهو حكم متغير ومرحلي، ويجب علينا عند تطبيق أي حديث، كمبدأ عام، أن نتقصى غاية التقصي، وأن نلم بملابسات الحديث كله، ومع عدم الإلمام بالملابسات التي قد تجعله حكماً خاصاً[٤].

الخامس: يجب علينا أن نتأكد من أن أحاديث الردة قد رويت بالحرف وليس بالمعنى؛ لأنه لا يجوز أن نبيح الدماء، مع احتمال الرواية بالمعنى، وأن هذا قد يغير المقصود[٥].

السادس: لم يثبت أن النبي ﷺ أقام حد الردة على أحد[٦].

= جابر العلواني: ٧٠، ٧٧، حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د.أحمد صبحي منصور: ٨٨- ٩٨، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٠٧- ١٠٨.

(١) الإسلام عقيدة وشريعة: محمود شلتوت: ٢٨١، الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ٣٧، ٤٠، ١٥٣، قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١١٢، ١٣٤.

(٢) تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد رضا: ٩/ ٥٥٣.

(٣) وهو رأي د.محمد سليم العوا. انظر للتوسع: الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ١٨٠- ١٩٠.

(٤) الردة في الإسلام: قراءة تاريخية وفكرية في الأصول والاتجاهات والنتائج: حسن غريب: ٧٥- ٧٦، الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ٤٠.

(٥) الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ٤٠.

(٦) لا إكراه في الدين: إشكالية الردة والمرتدين من صدر الإسلام حتى اليوم: د.طه جابر العلواني: ٨٠، الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ١٥١، أصول الشريعة: محمد سعيد العشماوي: ١٢٨، حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د.أحمد صبحي منصور: ٥٣- ٥٦.

السابع: تعتبر أحاديث حد الردة المروية في صحيح البخاري ومسلم أحاديث ضعيفة(١)، أو أنها مكذوبة وغير صحيحة(٢).

الثامن: بطلان الإجماع على حد الردة، وذلك بالأمور التالية:

١- فقد ورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد أخذ بعض المرتدين أسرى، وأنه لم ينفذ فيهم أي حكم بالقتل، كما كان يتوجب عليه أن يفعل؛ لو كان هناك حكم شرعي يجب تنفيذه(٣).

٢- كذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: «المرتدة في الإسلام تُحبس ولا تقتل»(٤)، وهو مذهب الحنفية(٥)، قياساً على النهي عن قتل النساء الكافرات عموماً كما جاء في حديث: **«أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء»**(٦).

٣- أن إبراهيم النخعي قال: «إن المرتد يستتاب أبداً»(٧)، أي حتى موته، ولا يقتل، وكل ذلك يتعارض مع الزعم بالإجماع(٨).

---

(١) الإسلام وحرية الفكر: جمال البنا: ١٤٨- ١٥٠.

(٢) حد الردة: دراسة أصولية تاريخية: د. أحمد صبحي منصور: ٦١- ٨٨.

(٣) قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٣٨.

(٤) رواه الدارقطني في سننه في كتاب: الحدود والديات وغيره، (الحديث: ١٢٠): ٣/ ١١٨، من طريق عاصم بن بهدلة أبي النجود، عن أبي رزين مسعود بن مالك الأسدي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف؛ لأن عاصماً صدوق له أوهام. انظر: تقريب التهذيب: ابن حجر: ٢٨٥.

(٥) انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين بن مسعود الكاساني: ٧/ ١٣٤، دار الكتب العلمي: بيروت.

(٦) رواه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: قتل النساء في الحرب، (الحديث: ٣٠١٥): ٢/ ٣٦٢، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الجهاد والسير، باب: تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، (الحديث: ١٧٤٤): ٣/ ١٣٦٤.

(٧) رواه عبد الرزاق في مصنفه في كتاب: اللقطة، باب: في الكفر بعد الإيمان، (الأثر: ١٨٦٩٧): ١٠/ ١٦٦، من طريق الثوري، عن عمرو بن قيس الملائي، عن إبراهيم النخعي، والأثر صحيح؛ لأن رجاله ثقات، ورواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: المرتد، باب: ما يحرم به الدم من الإسلام زنديقاً كان أو غيره، (الأثر: ١٦٨٣٣): ٨/ ٣٤٢- ٣٤٣، من طريق الثوري، عن عمرو بن قيس الملائي، عن رجل، عن إبراهيم النخعي، قال ابن وهب: «قال لي مالك: هذا منقطع، وروي من وجه آخر موصولاً وليس بشيء».

(٨) انظر للتوسع: قتل المرتد الجريمة التي حرمها الإسلام: محمد منير إدلبي: ١٣٨- ١٤٢.

المطلب الثاني: أدلة العلماء في إثبات حد الردة والرد على أدلة الاتجاه العقلي:

أولاً: أدلة العلماء في إثبات حد الردة:

استدل علماء المسلمين على إثبات حد الردة من السنة النبوية الصحيحة الصريحة، وعمل الصحابة ﷺ، والإجماع، وذلك بما يلي:

الأول: السنة النبوية:

١- ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من بدّل دينه فاقتلوه**»(١).

٢- ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله؛ إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة**»(٢).

---

(١) رواه البخاري في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (الحديث: ٦٩٢٢): ٤/ ٢٧٩، واللفظ له، ورواه أبو داود في كتاب: الحدود، باب: الحكم فيمن ارتد، (الحديث: ٤٣٥١): ٤/ ٥٢٠، ورواه الترمذي في كتاب: الحدود، باب: ما جاء في المرتد، (الحديث: ١٤٥٨): ٣/ ١٢٦، وقال: «حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم في المرتد، واختلفوا في المرأة إذا ارتدت عن الإسلام»، ورواه النسائي في كتاب: تحريم الدم، باب: الحكم في المرتد، (الحديث: ٤٠٥٩): ٧/ ١٠٤، ورواه ابن ماجه في كتاب: الحدود، باب: المرتد عن دينه، (الحديث: ٢٥٣٥): ٤/ ١٥٤- ١٥٥، ورواه أحمد في مسند ابن عباس رضي الله عنهما، (الحديث: ١٨٧١): ٣/ ٣٦٤- ٣٦٥، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: الحدود، باب: الردة، (الحديث: ٤٤٧٥): ١٠/ ٣٢٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب: الديات، باب: قول الله تعالى: «أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ» المائدة: ٤٥، (الحديث: ٦٨٧٨): ٤/ ٢٦٨، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، (الحديث: ١٦٧٦): ٣/ ١٣٠٢- ١٣٠٣، ورواه أبو داود في كتاب: الحدود، باب: الحكم فيمن ارتد، (الحديث: ٤٣٥٢): ٤/ ٥٢٢، ورواه الترمذي في كتاب: الديات، باب: ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، (الحديث: ١٤٠٢): ٣/ ٧٣- ٧٤، ورواه النسائي في كتاب: تحريم الدم، باب: الحكم في المرتد، (الحديث: ٤٠٥٨): ٧/ ١٠٣- ١٠٤، ورواه ابن ماجه في كتاب: الحدود، باب: لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث، (الحديث: ٢٥٣٤): ٤/ ١٥٤، ورواه أحمد في مسند عبد الله =

٣- حديث أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «**لن أو لا نستعمل على عملنا من أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو يا عبد الله بن قيس إلى اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل رضي الله عنه، فلما قدم عليه، ألقى له وسادة، قال: أنزل، فإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: كان يهودياً فأسلم، ثم تهود، قال: اجلس، قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله - ثلاث مرات - فأُمر به فقتل...**»[(١)].

٤- حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له حين بعثه إلى اليمن: «**أيما رجل ارتد عن الإسلام فادعه؛ فإن تاب فاقبل منه، وإن لم يتب فاضرب عنقه، وأيما امرأة ارتدت فادعها، فإن تابت، فاقبل منها، وإن أبت فاستتبها**»[(٢)].

قال ابن حجر معلقاً على الحديث: «سنده حسن، وهو نص في موضوع النزاع[(٣)]، فيجب المصير إليه»[(٤)].

٥- حديث جابر رضي الله عنه أن امرأة يقال لها: أم مروان ارتدت، فأمر النبي ﷺ أن يعرض عليها الإسلام: «**فإن رجعت وإلا قتلت**»[(٥)].

= ابن مسعود رضي الله عنه، (الحديث: ٣٦٢١): ٦/ ١١٩- ١٢٠، ورواه ابن حبان في صحيحه في كتاب: الجنايات، (الحديث: ٥٩٧٧): ١٣/ ٣١٦.

(١) رواه البخاري في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (الحديث: ٦٩٢٣): ٤/ ٢٧٩، واللفظ له، ورواه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، (الحديث: ١٥): ٣/ ١٤٥٦- ١٤٥٧، ورواه أبو داود في كتاب: الحدود، باب: الحكم فيمن ارتد، (الحديث: ٤٣٥٤): ٤/ ٥٢٣- ٥٢٤.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير كما في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الهيثمي: ٦/ ٢٦٣، ونصب الراية لأحاديث الهداية: الزيلعي: ٣/ ٤٥٧.

(٣) أي خلاف الحنفية مع جمهور العلماء في قتل المرتدة، وهذا الحديث حجة على الحنفية الذين لا يجيزون قتل المرأة المرتدة.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٢/ ٢٨٤.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: المرتد، باب: قتل من ارتد عن الإسلام، (الحديث: ١٦٨٦٦): ٨/ ٣٥٣، واللفظ له، ورواه الدارقطني في السنن في كتاب: الحدود والديات وغيره، (الحديث: ١٢٢): ٣/ ١١٨- ١١٩، وقال ابن حجر: «وإسنادهما ضعيفان». انظر: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: ابن حجر: ٤/ ٩٢.

الثاني: عمل الصحابة ﷺ:

١- قتال أبو بكر الصديق ﷺ المرتدين من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام، هو أضخم حدث تاريخي وقع بعد وفاة النبي ﷺ[(١)].

٢- أن أبا بكر الصديق ﷺ قتل امرأة يقال لها: أم قرفة في الردة[(٢)].

٣- أخذ عبد الله بن مسعود ﷺ قوماً ارتدوا عن الإسلام من أهل العراق، فكتب فيهم إلى عمر ﷺ، فكتب إليه: أن أعرض عليهم دين الحق، وشهادة أن لا إله إلا الله، فإن قبلوها فخلّ عنهم، وإذا لم يقبلوها فاقتلهم.. فقبلها بعضهم فتركه، ولم يقبلها بعضهم فقتله[(٣)].

٤- نفّذ علي ﷺ عقوبة الردة بزنادقة فأحرقهم[(٤)].

الثالث: الإجماع:

من خلال عمل الصحابة ﷺ، نلاحظ أنهم اتفقوا على قتل من ارتد عن الإسلام، فكان إجماعاً منهم على ذلك[(٥)].

ثانياً: الرد على أدلة أصحاب الاتجاه العقلي في إنكار أحاديث حد الردة:

الأول: الرد على شبهة أن القرآن الكريم لم يرتب عقوبة للمرتد مما يتعارض مع أحاديث الردة:

---

(١) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٦٠، مكتبة وهبة: القاهرة، جريمة الردة وعقوبة المرتد: د. يوسف القرضاوي: ٤٦، مكتبة وهبة: القاهرة، الردة: الشيخ السيد سابق: ١٩.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب: المرتد، باب: قتل من ارتد عن الإسلام، (الحديث: ١٦٨٧٢): ٨/ ٣٥٤، واللفظ له، ورواه الدارقطني في السنن في كتاب: الحدود والديات وغيره، (الحديث: ١١٠): ٣/ ١١٤، قال ابن حجر: «أخرج الدارقطني أثر أبي بكر ﷺ من وجه حسن». انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ١٢/ ٢٨٤.

(٣) رواه عبد الرزاق في مصنفه، (الأثر: ١٨٧٠٧): ١٠/ ١٦٨، وإسناده صحيح؛ لأن رجاله ثقات.

(٤) رواه البخاري في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم، (الحديث: ٦٩٢٢): ٤/ ٢٧٩.

(٥) انظر: المغني: ابن قدامة المقدسي: ١٢/ ٢٦٥، دار عالم الكتب: بيروت.

١ـ لا تعارض بين الآيات القرآنية؛ وبين أحاديث الردة، فلا إكراه في دخول الإسلام ابتداء، أما بعد أن يدخل فيه، فهذا وضع آخر[١].

٢ـ أن استدلالهم بالقرآن الكريم فقط؛ فيه انزلاق خطير، وقصور في الفهم والاستدلال؛ لأنه يقوم على إهدار دور السنة النبوية في التشريع، وهي بإجماع العلماء، المصدر الثاني في التشريع الإسلامي.

٣ـ لو كانت الآيات القرآنية تفيد إنكار حد الردة من قريب أو من بعيد؛ لكان علماء السلف وفقهاؤه ومفسروه أسرع الناس إلى القول به وإعلانه، وهم يستنبطون الأحكام من القرآن الكريم، وكانوا على بصيرة من الآيات، يعرفون عامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، وناسخها ومنسوخها...

٤ـ أن السنة النبوية حين حدّدت عقوبة المرتد قتلاً، لم تخرج عن صلتها بالقرآن أبداً، وأن هناك انسجاماً تاماً بين السنة والقرآن[٢].

الثاني: الرد على شبهة أن أحاديث الردة آحاد، والحديث الآحاد لا يؤخذ به:

فهي شبهة قديمة حديثة، والأخبار كثيرة باحتجاج الأئمة بخبر الواحد والعمل به من غير نكير، وهي شبهة مردودة بما أثبتناه من حجية خبر الواحد في الفصل الثاني من هذا الباب.

الثالث: الرد على شبهة تأويل أحاديث قتل المرتد بأنه يقتل محاربة أو سياسة أو تعزيراً وليس حداً:

١ـ أن الأحاديث في قتل المرتد واضحة لا تحتاج إلى تأويل؛ لأن هذه النصوص غنية عن التأويل، وعلماء الأمة متفقون على أن النص الواضح الذي لا يمنع من العمل بظاهره مانع شرعي أو عقلي؛ يجب بقاؤه على ظاهره؛ ولا يجوز صرفه عن ظاهره أبداً.

---

(١) قراءة نقدية في فكر محمد سعيد العشماوي والرد على افتراءاته: د. عمر عبد الله كامل: ١١٠، دار بيسان: بيروت.

(٢) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ١١، ١٨، ٢٩.

٢- المحاربة لا تستلزم الردة عن الإسلام، فكل منهما مستقل عن الآخر، وهما موضوعان مختلفان، وهذا الراجح؛ وعليه علماء المسلمين[١].

الرابع: الرد على شبهة أن أحاديث حد الردة خاصة بالعهد النبوي وليست عامة:

أن أحكام الشريعة الإسلامية أحكام كلّية، فالنبي ﷺ أُرسل إلى الناس جميعاً، ودعوته عامة لكل البشر، ومنها قتل المرتد حكمه عام؛ وليس خاصاً بظرف معين، أو حادثة معينة[٢].

الخامس: الرد على شبهة أن أحاديث حد الردة رويت بالمعنى ولم ترو باللفظ:

١- أكثر ما ترد الرواية باللفظ في الأحاديث القصيرة، على أن ورود الرواية بالمعنى في الأحاديث الطويلة إنما تكون في الكلمة والكلمتين والثلاث، وقلما تكون الرواية بالمعنى في جميع ألفاظ الحديث.

٢- إن هذه الشبهة تصدر عمن غفل عن العوامل الدينية والنفسية والخلقية؛ التي اتصف بها الرواة من الصحابة رضي الله عنهم، ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم، فهم خير الناس بشهادة النبي ﷺ، وشهادة الواقع التاريخي، فهم يعلمون حق العلم أنهم يروون نصاً يعتبر مرجعاً في الدين، وأن أي تبديل أو تحريف يؤدي بهم إلى أن يتبوؤوا مقاعدهم في النار، وهم إلى ذلك ذوو حوافظ قوية، وأذهان سيالة، ووجدان حي، وقلوب عاقلة واعية، وإنكار هذه الخصائص أو بعضها؛ إنكار للحق الثابت، والواقع الملموس.

٣- الرواية بالمعنى لم تدخل ضرراً على الدين، وهي مكسب للسنة النبوية[٣].

السادس: الرد على شبهة أن حد الردة لم يطبق في العهد النبوي:

١- هذه الدعوى غير صحيحة؛ حيث إن الأسود العنسي كاهن اليمن قد ادعى أنه نبي، ودعا الناس إلى اتباعه، فارتد بعض أهل اليمن عن الإسلام، فلما علم النبي ﷺ بهذا الحدث الخطير؛ بعث إلى المسلمين من أهل اليمن رسولاً،

---

(١) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٣٨- ٤٢.

(٢) قراءة نقدية في فكر محمد سعيد العشماوي والرد على افتراءاته: د. عمر عبد الله كامل: ١١٠.

(٣) دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين: د. محمد أبو شهبة: ٤٦، ٥٥- ٥٧.

ودعاهم إلى القضاء على هذه الفتنة، وأن يقاتلوا الأسود، ومن ارتد معه، فأدى المسلمون الواجب، وتمكنوا من قتل الأسود، وخمدت الفتنة، وعلم النبي ﷺ بقتل الأسود في إحدى روايتين، وبشر المسلمين بقتله[١].

٢- في عام الفتح أمر ﷺ بقتل ابن خَطَل، وكان مسلماً ثم ارتد، ورجع إلى مكة، ولما علم بقدوم موكب الفتح بقيادة النبي ﷺ ؛ هُرع إلى المسجد الحرام، وتعلق بأستار الكعبة، ورغم هذه الحيلة أمر النبي ﷺ بقتله، فقتل حداً للارتداد عن الدين[٢].

٣- السبب في قلة تطبيق عقوبة الردة في حياة النبي ﷺ ؛ ليس لأن الردة لا تبيح القتل كما يقولون؛ بل لأن حدوث ردة ظاهرة من مسلمين لم يقع كثيراً[٣].

السابع: الرد على شبهة أن أحاديث حد الردة ضعيفة أو موضوعة:

هذه الشبهة منحرفة وخاطئة، وغير واقعية بما ثبت من صحة وصراحة أحاديث حد الردة، وليس الهدف من هذه الشبهة إلا النيل من مكانة السنة النبوية في نفوس المسلمين، وخاصة صحيحي البخاري ومسلم[٤].

الثامن: الرد على شبهة بطلان الإجماع على حد الردة:

١- قتال أبو بكر الصديق رضي الله عنه المرتدين من العرب حتى رجعوا إلى الإسلام، هو أضخم حدث تاريخي وقع بعد وفاة النبي ﷺ، وهو إجماع مع عمل ضخم بكل مقياس لهذه الاعتبارات، واستمرت حروب الردة قرابة السنتين[٥].

٢- ما قاله المذهب الحنفي لا يقدح في تقرير أصل العقوبة؛ وهي قتل المرتد، فهم مسَلِّمون بهذا، وإنما خصصوا هذا العموم باستثناء المرأة إذا ارتدت؛

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر: ٧/ ٦٩٥.

(٢) رواه مسلم في كتاب: الحج، باب: جواز دخول مكة بغير إحرام، (الحديث: ١٣٥٧): ٢/ ٩٨٩- ٩٩٠.

(٣) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٥٨- ٥٩، جريمة الردة وعقوبة المرتد: د. يوسف القرضاوي: ٥٠.

(٤) مكانة الصحيحين: د. خليل إبراهيم ملا خاطر: ٣٠١- ٣٠٣، ٤٧١، دار القبلة: جدة.

(٥) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٥٢- ٥٣، ٦٠، جريمة الردة وعقوبة المرتد: د. يوسف القرضاوي: ٤٦، الردة: الشيخ السيد سابق: ١٩.

فإنها عندهم لا تقتل، وإنما يقتل الرجل فحسب، وسبب هذا الاستثناء عندهم؛ قياس المرأة المرتدة على المرأة الحربية، كما ورد في الحديث: «**أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء**»[١].

وقد خالف الحنفية في هذا فقهاء المذاهب الأخرى الذين سوَّوا في القتل بين المرأة والرجل إذا ارتدا ولم يتوبا، وأياً كان الأمر فليس في مذهب الحنفية دليل لمنكري حد الردة؛ لأنهم لم ينازعوا في أصل العقوبة؛ وإنما نازعوا في هل تطبق على الرجال والنساء؟ أم أن للنساء حكماً آخر، وهو الحبس مدى الحياة، مع عرض الإسلام عليها حتى آخر لحظة من حياتها[٢].

٣- بعض العلماء المعاصرين مال إلى أنه يجب أن نفرّق بين الردة الغليظة والخفيفة، وفي أمر المرتدين بين الداعية وغير الداعية، فالردة المغلظة هي كون المرتد داعية إلى بدعته بلسانه أو قلمه، فالأولى في ذلك؛ التغليظ في العقوبة، والأخذ بقول جمهور الأمة، وظاهر الأحاديث، استئصالاً للشر، وسداً لباب الفتنة، وإلا فيمكن الأخذ بقول إبراهيم النخعي[٣].

٤- اعتبر بعض العلماء قول إبراهيم النخعي في استتابة المرتد بأنه قول شاذ، مخالف للسنة والإجماع[٤].

٥- أن ما روي عن إبراهيم النخعي غير معقول؛ لأنه يعني ذلك أن المرتد لا يقتل أبداً، ويستمر عرض التوبة عليه، وهذا مناقض للنص الصريح في قوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٥]، [٦].

(١) تقدم تخريجه ص: ٥٥١، الهامش: ٦.
(٢) عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين: د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٣١.
(٣) جريمة الردة وعقوبة المرتد: د. يوسف القرضاوي: ٥٢.
(٤) المغني: ابن قدامة المقدسي: ١٢/ ٢٦٨.
(٥) تقدم تخريجه ص: ٥٥٢، الهامش: ١.
(٦) حديث حد الردة في ضوء أصول التحديث رواية ودراية: د. سعد المرصفي: ٥١، مكتبة المنار الإسلامية: الكويت.